الموت فى الشعر الجاهلى



دكتور/ حسن أحمد عبد الحميد عبد السلام

الموت في الشعر الجاهلي

تاليف

دكتور
حسني أحمد عبد الحميد عبد السلام
المدرس بقسم الأدب والنقد
فى كلية اللغة العربية
جامعة الأزهر ـ بالقاهرة

الطبعة الأولى

١٤١١ هـ ـ ١٩٩١ م

مطبعة الحسين الاسلامية
٢٥ حارة المدرسة خلف جامع الأزهر

مكتبة لسان العرب
أ علاء الدين شوقي
www.lisanarb.com

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى امتحن الانسان بالحياة ، وجعل الموت مصيره والآخرة منتهاه ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ، الرحمة المهداة ، والنعمة المسداة ، وعلى آله وصحبه ومن والاه ٠٠٠ وبعد

فلقد شغلت منذ وقت غير قصير بفكرة هذا البحث (رؤية الشاعر الجاهلى للموت واحساسه به وعقيدته فيه) ٠

وما زالت الفكرة تراودنى ، تجىء وتذهب ، وتلوح وتغمض ، حتى قدر الله لى أن أعيش بعض الزمن فى احدى مناطق شبه جزيرة العرب ، فملأت عينى من مظاهرها الطبيعية ، وأحسست بنفسى بعض ظواهرها المناخية ، وسرحت بخواطرى لأتخيل أهل هذه المناطق كيف كانوا يعيشون ؟ وبماذا كانوا يشعرون ؟ قبل الاختراعات الحديثة التى ذللت الصعاب وعمرت اليباب ٠ فتبلورت الفكرة واستقرت ، وأقامت ولم تذهب ، وايقنت بأنه لا بد أن يكون الجاهليون أحسوا بالموت احساسا شديدا ، وقد كانوا يلاقونه فى كل وقت ، ويتخيلونه فى كل شبر ٠

فقويت عزيمتى ، ومضت ارادتى للكتابة فى هذا الموضوع ، فرحت أبحث عن الدوافع التى يمكن أن تزيد احساسهم بالموت ـ وانا أعلم أن كراهية الموت جزء من فطرة الانسان ، وأن حب البقاء جبلة فى طبعه ـ لكن الذى يزيد من هذه الكراهية ويضاعف القلق والخوف من ذهاب الحياة هو ما بحثت عنه عند الجاهليين ، وقد اهتديت الى

أن العوامل البيئية والظروف المعيشية والعوامل المتولدة من حياة الصحراء أسهمت بقدر كبير في زيادة احساس الجاهليين بالموت ، لكن العامل الأقوى كان افتقادهم الدين الصحيح واليقين بالآخرة ، فهما كفيلان بأن يغمرا النفس بالطمأنينة ، ويملآها بالرضا والأمل ، وكل ذلك لم يكن عند الجاهليين .

ثم تتبعت أشعارهم التى عبرت عن موقفهم من الموت وحملت احساسهم به ، وصنفتها الى ثلاثة أنماط هى : رثاء النفس - ورثاء الآخرين - والحكمة) .

ولقد ظهر لى أن شعراء كثيرين رثوا أنفسهم فى الجاهلية ، منهم الفارس الذى بكى نفسه وهو يحتضر بعد اصابته فى غارة ، أو ناح عليها ، وهو أسير ينتظر الموت ، ومنهم الشيخ الهرم الذى ذهبت قوته ، وأوشكت نهايته ، ومنهم المشهور ، وكثير منهم مغمور ، فترجمت لهم جميعا وأثبت أشعارهم التى رثوا فيها أنفسهم .

وفى رثاء الآخرين انتقيت النصوص التى يظهر فيها احساس الشعراء بالموت ، حتى لا تخرج الدراسة عن اطارها المرسوم لها ، ثم نظرت فى شعر الحكمة الذى تناولوا فيه قضية الموت ، واستخرجت منه عقيدتهم فيه ورؤيتهم له .

ثم درست بعد ذلك الخصائص الموضوعية والفنية لشعر الموت .

- وبعد فانى أعتقد أن هذه الدراسة تسكب مزيدا من الضوء على حياة العرب فى العصر الجاهلي ، وتجلى جانبا من مشاعرهم وتقدم صورة لخواطرهم وأفكارهم فى مواجهة الموت .

وارجو أن تكون هــذه الدراســة اضــافة مفيدة وموفقــة فان تـحقق الرجــاء ، فالـحمد لله على توفيقــه وتســديده ، وان لم يتـحقق فـحسبى انى لم أدخــر وســعا ، ولم آلو جهــدا ، والله المستعان .

د. حســن عبد الســلام

٢٥ من ربيع الآخر سنة ١٤١١ هـ

١٢ من نوفمبر سنة ١٩٩٠ م

البـــاب الأول

عوامل الاحساس بالموت عند الجاهليين

الفصـــل الأول : طبيعـــة بيئـــة الصـــحراء ٠

الفصل الثـــانى : الحــــروب ٠

الفصل الثالث : الرحـــــلة ٠

الفصل الرابع : افتقادهم الدين الصحيح ٠

الفصل الأول

طبيعة بيئة الصحراء

تؤثر كل بيئة فى أصحابها ، وتطبع تفكيرهم بطابعها ، وتوحى اليهم بكثير من أفكارهم ، وتصبغ الى حد بعيد مشاعرهم واحاسيسهم بصبغتها . يقول الأستاذ الزيات : « ولجو الاقليم أثر طبيعى فى حياة أهله ، فهو الذى ينهج لهم سنن معاشهم ونظام اجتماعهم ويكون الكثير الغالب من أخلاقهم وطباعهم »(١) .

وبيئة العرب قبل الاسلام هى بيئة صحراء شبه الجزيرة التى اثرت فى سائر نواحى حياتهم المادية والفكرية والعاطفية .

فى ذلك العصر لم يكن بوسع الانسان أن يسيطر على هذه الصحراء ليتجنب الكثير من أخطارها ، ولم يكن له بد من الشعور بالرهبة أمام اتساعها وترامى أطرافها ، وبالخوف من صعوبة طبيعتها ووعورة مسالكها ، وبالريبة مما تخفيه تلك الصحراء وراء جبالها وخلف هضابها وداخل أغوارها .

ان هذا الاحساس بالصحراء هو الاحساس الطبعى الذى يشترك فيه أغلب من عاش فى تلك البيئة وان ادعى بعضهم خلافه شجاعة وقوة .

بل انى لأظن أن الحديث الطويل عن الشجاعة والجسارة فى

---

(١) أحمد حسن الزيات : تاريخ الأدب العربي ص ٨ .

مواجهة تلك البيئة - كما نجد فى الأدب الجاهلى - هو محاولة من الانسان أن يتقوى ويصبر على مقاومة هذه البيئة الجبارة والانتصار عليها .

اننا فى عصر الكهرباء والطائرة نشعر بكثير من الوحشة اذا تأملنا طبيعة شبه الجزيرة العربية ، وبقليل من التخيل يستطيع المرء أن يدرك مدى ما كان يعانيه الجاهليون فى مواجهة بيئتهم .

فى عصر الناقة والشاه والفرس واجه العرب بيئة الصحراء وعاشوا فيها بالخوف وبالحلم وبالحرب وبالشعر .

ويحسن بنا - ليتحول تخيلنا الى حقيقة - أن نعرف صفة شبه الجزيرة العربية وأن نقف على سمات التضاريس والمناخ فيها كما رصدها المتخصصون(١) .

١ - التضاريس :

ينقسم سطح شبه الجزيرة العربية الى الأقسام الآتية :

— **سهول تهامة :** وهى سهول ساحلية تمتد بمحاذاة ساحل البحر الأحمر من أقصى الشمال الى أقصى الجنوب ، ويختلف اتساعها من مكان الى آخر ، وهى سهول رملية وحصوية ، تنتشر المنصهرات البركانية فى بعض أجزائها ، وتجرى بها الوديان القصيرة التى تفيض بالمياه عقب سقوط الأمطار ، وتصب فى البحر الأحمر .

---

(٢) استقيت المعلومات فى هذا البحث من كتاب جغرافية شبه جزيرة العرب ، جـ ١ للدكتور محمود طه أبو العلا . ص ١٨ ، ٣٩ وما بعدها ط ١٢ - الأنجلو المصرية ١٩٧٧ م .

ـ **المرتفعات الغربية :** تمتد هذه المرتفعات موازية لسهول تهامة ، فتقع السهول بين الجبال والبحر الأحمر ، وتتسع المسافة بين المرتفعات والبحر حتى تبلغ أربعين كيلو مترا فى بعض المناطق ، وتضيق حتى تكاد تشرف المرتفعات على البحر مباشرة ، وتنقسم سلاسل المرتفعات هذه الى ثلاثة أقسام هى :

(أ) **مرتفعات الحجاز أو السراة :** ويطلق هذا الاسم على الجزء الممتد من رأس خليج العقبة جنوبا حتى عرض ٢٠ درجة شمالا ، وتتكون هذه المرتفعات من عدة سلاسل جبلية تتخللها الوديان الطويلة وبها ينابيع تغذيها المياه الجوفية ، وتتكون الجبال من صخور نارية ، وتكثر بها الوديان الجبلية والثنيات المنخفضة والكتل الانكسارية ، وتغطى الصخور البركانية بعض أجزائها .

(ب) **مرتفعات عسير :** وهى أكثر ارتفاعا من جبال الحجاز اذ يتراوح ارتفاعها بين خمسة آلاف وعشرة آلاف قدم ، والوديان فيها أكثر ماء وأكثر عددا من وديان جبال الحجاز نظرا لغزارة الأمطار بها ، وتمتد هذه الوديان من مرتفعات عسير الى ساحل البحر الأحمر فى تهامة عسير التى لا يزيد اتساعها كثيرا عن تهامة الحجاز .

(حـ) **مرتفعات اليمن :** وهى أشد ارتفاعا وأكثر امتدادا نحو الشرق من المرتفعات السابقة اذ تصل بعض قممها الى أربعة عشر ألف قدم ، ويتراوح ارتفاعها ـ عامة ـ بين سبعة آلاف وعشرة آلاف قدم ، ويتدرج انحدار هضبة اليمن نحو الشرق ويزداد انحدارها نحو الغرب الي السهل الساحلي (تهامة اليمن)

وتمتد الوديان من حافة الهضبة الى السهل الساحلى الذى تكثر به السبخات والمستنقعات بجوار ساحل البحر الأحمر ، وتمتد هذه الوديان جهة الشرق حتى تنتهى فى رمال الربع الخالى .

— **الهضاب الغربية :** وهى الهضاب التى تلى المرتفعات الغربية فى منطقة جبال السراة من جهة الشرق وهى : **هضبة الحسمى** ، وتقع فى أقصى الشمال ويبلغ متوسط ارتفاعها ثلاثة آلاف قدم وينحدر سطحها الى الشرق والشمال أيضا .

وهضبة عسير : وتقع جنوب هضبة الحجاز وهى أكثر تلك الهضاب ارتفاعا اذ يصل ارتفاعها ستة آلاف قدم ، وتقطعها أودية كثيرة .

— **السهول والمرتفعات الجنوبية :** وتنحدر هذه المرتفعات من الغرب الى الشرق ، والأجزاء الغربية منها أقل ارتفاعا من هضبة اليمن بقليل ، ويقل الارتفاع من جهة الشرق ليتراوح بين ثلاثة آلاف قدم وستمائة قدم ، ويمتد وادى حضرموت فى هذه المرتفعات موازيا لساحل البحر العربى ، ثم ينحدر فجأة الى الجنوب الشرقى ويصب فى البحر العربى .

— **اقليم مرتفعات عمان :** ويقع هذا الاقليم فى أقصى جنوب شرق شبه الجزيرة العربية ، وتختلف بنيته عن سائر أجزاء شبه الجزيرة ، وتتكون مرتفعات عمان من الصخور الرسوبية التى تعرضت لكثير من حركات القشرة الأرضية والتى أدت الى تكوين انكسارات وفوالق نتجت عنها الأودية الانكسارية والكتل القافزة فى أقصى شمال المرتفعات ، وتأخذ مرتفعات عمان شكل هضبة يبلغ ارتفاعها أربعة آلاف قدم ، وأعلى أجزائها حافة يتراوح ارتفاعها بين عشرة آلاف وتسعة آلاف قدم ، وتقطع الوديان الهضبة

الى الشرق متجهـة الى خليج عمان أو الى الغـرب حيث تضـيع مياهها فى رمال الربـع الخـالى ٠

— الأجـزاء الوسطى : وأهم هذه الأجـزاء هضبة نجـد ، والنفـود الكبير ، والربع الخـالى ٠

وتمتد هضبة نجـد من المرتفعـات الغـربية غـربا الى هضـبة الصمان شرقا ومن النفود الكبير شـمالا حتى الربع الخالى جنوبا ، ويبلـغ أقصى ارتفاعها فى الغـرب ، ويقـل تدريجيا نحو الشرق ، ومتوسط ارتفاعها ثلاثة آلاف قدم ٠ وتقـع فى هضبة نجـد جبـال طـويق وهى على هيئـة قوس يرتفـع الى ثلاثة آلاف وخمسمائة قدم ، وجبال شمر التى تقـع فى الشمال الغربى للهضبة ، ومتوسط ارتفاعها خمسـة آلاف قدم ٠ ويقع فى هضبة نجد أيضا نطاق الدهناء الرمـلى الذى يتراوح ارتفـاعه بين ألف وخمسمائة ، وألفى قدم ، وتجـرى فى الهضـبة عـدة أودية ٠ أما النفـود الكبيـر فهو على شـكل مثلث قاعدته فى الغـرب ورأسـه فى الشرق ، وتغطى الكثبان الرمليـة الكثيفة الحوض الذى يشغله هذا الجـزء ، وهى فى الغرب والجنوب أكثر منها ارتفـاعا فى الشرق والشـمال ٠ أما الربـع الخـالى فهو منطقة رملية واسـعة تمتـد من سفـوح المرتفعـات الغـربية غربا الى سفوح مرتفعـات عمان شرقا ، ومن هضبة نجـد شمالا الى هضبة حضرموت فى الجنوب ، وتمـلأ الكثبان الرمليـة الربع الخالى ، وتأخذ أشـكالا مختلفة ، فمنهـا المتحـرك ومنهـا الثابت ، وهى أكثـر ارتفـاعا فى الجنـوب والغـرب منهـا فى الشمال والشـرق ٠

ـ **خوض وادى سرحان :** ويقـع هذا الحوض غرب منطقة النفود الكبير وقد تكون نتيجـة حدوث انكسـارين كان اتجـاه أحدها من الشمال الغـربى الى الجنوب الشرقى واتجـاه الآخـر من الجنوب الغربى الى الشـمال الشرقى ٠

ـ **سهول الاحسـاء :** وتقـع فى شرقى شبه الجـزيرة العـربية ، وهى تنحـدر من الشرق والى الشمال الشرقى وتمتـد بها التكوينـات الرمليـــة ٠

٢ ـ المنـــاخ :

أدى تنوع التضـاريس فى شبه جـزيرة العرب بين جبال مرتفعـة ووديان منخفضـة وسهول الى اختـلاف مناخى بين أجزائها ، فالحـرارة ترتفـع جـدا فى الأجـزاء الداخلية وفى المنـاطق المنخفضـة صـيفا ، بينما تكون أقـل ارتفـاعا فى المنـاطق الساحلية والمرتفعات ٠ ويغلف المنـاخ الصحراوى شبه الجـزيرة كلها ما عدا الجـزء الجنوبى الغـربى منهـا ، وترتفـع درجة الحرارة صيفا حتى يبلـغ متوسط نهايتها العظمى ستة وأربعـين درجـة ، وتنخفض فى الشتاء الى ما يقـرب من درجـة الصفر ، وتزداد الرطوبة النسبية شتاء فى المنـاطق السـاحلية اذ يصـل معدلها سبعين فى المـائة ، وتقـل هذه النسبة فى المنـاطق الداخلية حيث يصـل معدلها خمسين فى المـائة ، وتنخفض هذه النسبة فى الصيف اذ يصـل معدلها فى المنـاطق الساحلية خمسين فى المـائة وفى المنـاطق الداخلية ثلاثين فى المـائة ٠

وتهب الـرياح والعواصف الرمليـة ، التى كثيـرا ما تضـر بالانسان والحيوان فى شبه جزيرة العرب ٠

وقد يتغير اتجـاه الريح بين وقت وآخـر ، والعـرب تسمى الرياح التى تهب من جهـات مختلفة الرياح المتذائبة تشبيها لها بالذئب وقد يكون ملحظ هذا التشبيه الفعـل (الاتيـان من جهـات مختلفة) أو الصوت اذ تحـدث الرياح الشـديدة أصواتا أشبه ما تكون بعـواء الذئب ٠

ويتولد من الصحراء عوامل أخـرى جعلت الاحسـاس بالمـوت عند الجاهليين قويا ، فالمصـدر الوحيد للميـاه فى شبه جزيرتهم كان المطـر والعيون ، والمـاء هو سر الحيـاة وعمادها ، وفى حيـاة تعتمد على الرعى فى أكثر الأماكن ومعظم الأحيـان يصبح المـاء ثروة ثمينـة تشتعل بسببها الحـروب ، فقلة الخير والشح بأسباب الحيـاة من طعام وشراب كان هو الطابع العام الغالب على شبه جزيرة العرب ٠

اذا أضيف الى ذلك حـرارة الجو فى الصيف بدرجة عالية ، وضرورة الترحل من مكان الى آخـر بحثـا عن العشب ، مع وعـورة المسـالك وصعوبة الطـرق وندرة الظـل وقلة الأشجار عرفنـا الى أى حـد كان الاحسـاس بالموت والخوف من الهـلاك يمـلأ حياة الصحراء ٠ والخـوف من الهـلاك فى تلك البيئـة لا يقـل فى الشتاء عنـه فى الصيف فقد يأتى المطـر سـيولا مهلـكة ، وقـد ينـدر حتى يتبـدد الأمـل فى أن ينبت زرع أو يدر ضـرع ٠

وفى الشتاء يسـد الضباب الأفق فى بعض الأماكن ـ أحيانا ـ حتى يشتبه النهـار بالليـل ، فتتعـذر الرؤية ويصبح الهـلاك أمـرا محتمـلا بسبب ما يمكن حدوثه فى تلك الأجـواء من اصطدام بحجـر أو سقوط فى واد أو غير ذلك ٠

وقد يشتد البرد حـاملا معـه الحمى ونذر الموت فى بعض الأحيان ٠

ومن العوامل التى تولدت من الصحراء ، وزادت من احسـاس الجاهلى

بالموت كذلك ، انتشار أنواع الحيوان المفترس فى تلك البيئة كالأسد والذئاب والضبع ، وأنواع الحشرات القاتلة كالحيات والثعابين ، ثم ما كان يتخيله ساكنو الصحراء من أشباح وأرواح وجن ومخلوقات لا يرونها ، لكنهم كانوا يعتقدون أنها تسرح فى صحرائهم وتصيح فتملأ الجو من حولهم بالفزع والرعب .

ولقد صور الشعراء الجاهليون هذه الصحراء الرهيبة التى يتخيل الموت كامنا فى كل شبر منها ، ووصفوها بما رأوه فيها ، وبما تخيلوه منها . وعبروا عن احساسهم بذلك كله ، والمحوا الى العوامل التى سبق الحديث عنها - أحيانا - وصرحوا بها فى كثير من الأحيان .

يقول الأعشى فى معلقته (٣) :

وبلدة مثل ظهر الترس موحشة ... للجن بالليل فى حافاتها زجل
لا يتنمى لها بالقيظ يركبها ... الا الذين لهم فيما اتوا مهل
جاوزتها بطليح جسرة سرح ... فى مرفقيها اذا استعرضتها فتل

(والبلدة : القطعة من الأرض . وشبهها بالترس لبيان أنها غليظة وصعبة على من ينفذ فيها . موحشة : كثيرة الوحش . الزجل : الصوت . حافاتها : نواحيها : يتنمى : يرتفع . القيظ : شدة الصيف . مهل : أناة وصبر . طليح : مهزولة لكثرة أسفارها . جسرة : ضخمة . سرح : سريعة . فتل : قوة وصلابة) .

وبيئة بهذا الوصف تتطلب من أهلها اعداد الرواحل القوية

---

(٣) راجع شرح القصائد العشر للتبريزى ص ٣٤٠ ، تحقيق عبد السلام الحوفى - دار الكتب العلمية - بيروت .

الشديدة التى تصبر على العطش والجوع ، وتتحمل مشقة السير فى تلك الأرض الصعبة وتقدر على الصعود والهبوط ، ولهذا أبدع الجاهليون فى وصف نوقهم التى كانوا يسافرون عليها ، ووصفوها بالقوة والسرعة والتحمل والصبر .

فى أبيات أخرى للأعشى . يصور الفلاة مقفرة شحيحة بالخير ، لا تجد الابل فيها ما تطعمه ، فتتسلى بالاجترار ، ويقول انه تجاوزها بناقة نشيطة قوية مسرعة شديدة ، كانت ترجم المرتفعات باخفافها الصلبة ، فتشق ما فيها من حصى شقا ، ثم يشبهها بحمار الوحش وبثوره فى السرعة والنشاط .

يقول الأعشى (٤) :

وفلاة كأنها ظهر ترس ليس الا الرجيع فيها علاق
قد تجاوزتها وتحتى مروح عنتريس نعابة معناق
عرمس ترجم الأكام باخفا ف صلاب منها الحصى آفلاق

ويصف سويد بن أبى كاهل (٥) الصحراء وما يتراءى فيها من سراب خادع يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ، وما يطير خلالها من رياح حارة تصيب الرأس بالدوار ، فيقول (٦) :

١ ـ كم قطعنا دون سلمى مهمها نازح الغور اذا الآل لمع

---

(٤) أنظر : العصر الجاهلى ، د. شوقى ضيف ص ٣٥٤ .
(٥) سويد بن أبى كاهل شاعر مخضرم أدرك الاسلام وعاش فى الجاهلية دهرا .
(٦) أنظر شرح المفضليات : تحقيق على محمد البجاوى ، القسم الثانى ص ٧٠٩ .

(المهمه : القفر . وقوله : دون سلمى ، أى مهمها قاصرا عن بلاد سلمى بعيد الغور . والمعنى : كم من مفازة ركبناها وقطعناها لبعدنا عن هذه المرأة حتى وصلنا اليها . واذ الآل : ظرف لقطعنا ، يريد قطعنا الشقة اليها فى الهاجرة) .

٢ ـ فى حرور ينضج اللحم بها   يأخذ السائر فيها كالصقع

(الحرور : يكون بالليل والنهار ، وهو فعول من الريح الحارة . وقوله : ينضج اللحم بها : من صفة الحرور . والصقع : حرارة تصيب الرأس ، وأصله الضرب على الشىء اليابس ، وقيل : الصقع دوران فى الرأس .

٣ ـ وتخطيت اليها من عدا   بزماع الأمر والهم الكتع

(المعنى : وكم تخطيت اليها من عدا ـ وزماع الأمر : الأخذ فيه . والهم الكتع : يعنى الهم الملازم) .

٤ ـ وفلاة واضح أقرابها   باليات مثل مرفت القزع

(الأقراب : الخواصر ، وهو هنا تشبيه ، أراد جوانبها وأطرافها التى هى منها بمنزلة الخواصر من الناس ، وجعلها واضحة لبيانها ، وباليات : حال . وشبهها بما ارفت من السحاب أى تكسر وصار رفاتا ، وكذلك القزع ، واحدتها قزعة ، وهى قطع الشعر المتفرقة) .

٥ ـ يسبح الآل على أعلامها   وعلى البيد اذا اليوم متع

(الآل : السراب . والأعلام : الجبال . والبيد : جمع بيداء وهى القفر ، ومتع النهار : اذا ارتفع) .

٦ ـ فركبناها على مجهولها   بصلاب الأرض فيهن شجع

(اعتسفناها على غير قصد وهداية . وصلاب الأرض : الخيل) .

أما امرؤ القيس فيصف الصحراء فى الشتاء ، مصور أمطارها الغزيرة وسيولها المهلكة التى تجرف فى طريقها جذوع النخل ، وتهدم البيوت وتغرق السباع ، وتفزع الوعول ، وتلقى فى نفس الانسان بالفزع والخوف من الهلاك فيقول(٧) :

أصاح ترى برقا كأن وميضه ... كلمع اليدين فى حبى مكلل(٨)
يضىء سناه أو مصابيح راهب ... أهان السليط فى الذبال المقتل(٩)
قعدت له وصحبتى بين ضارج ... وبين اكام بعدما متامل(١٠)
واضحى يسح الماء عن كل فيقة ... يكب على الأذقان دوح الكنهبل(١١)
وتيماء لم يترك بها جذع نخلة ... ولا أطما الا مشيدا بجندل(١٢)
كأن طمية المجيمر غدوة ... من السيل والغثاء فلكة مغزل(١٣)
كأن أبانا فى أفانين ودقة ... كبير أناس فى بجاد مزمل(١٤)

---

(٧) الأبيات من معلقته : راجع شرح المعلقات السبع للزوزنى ص ٣٠ - والعصر الجاهلى للدكتور شوقى ضيف ، وشرح القصائد السبع الطوال للأنبارى وشرح القصائد المشهورات لابن النحاس ، وشرح المعلقات للتبريزى .

(٨) صاح : ترخيم صاحب . وميض البرق : لمعانه . الحبى من السحاب: المتراكم ، أو الدانى من الأرض . المكلل : المتراكم أيضا .

(٩) السليط : الزيت . الذبال : الفتائل ، وأهان السليط : يعنى أكثر من الزيت ، كناية عن شدة الضوء .

(١٠) ضارج واكام : موضعان .

(١١) الفيقة : ما بين الحلبتين . يريد أنه يسح ثم يسكن ثم يسح وهكذا . وعن هنا بمعنى بعد . يكب على الأذقان : يلقى على الوجه . والكنهبل : شجر العضاة العظيم . والدوح : الشجر الكثير الأغصان والورق .

(١٢) الأطم : البيت .

(١٣) طمية : جبل المجيمر : مكان . الغثاء : ما يحمله السيل . فلكة المغزل : ما استدار فوق رأسه .

(١٤) أبان : جبل . أفانين : ضروب . الودق : المطر . البجاد : كساء مخطط .

والقى بصــحراء الغبيـط بعـــاعه
نزول اليمانى ذى العياب المخول(١٥)

كان ســباعا فيــه غــرقى غــدية
بارجـائه القصـوى أنابيش عنصل(١٦)

على قطن بالشيم ايمن صـوبه وأيسره على السـنار فيـذبل(١٧)

القى ببسـيان فى الليـل بركه فأنزل منـه العصـم من كل منـزل

فى الأبيات السـابقة وصف امـرؤ القيس البرق الذى يلمع وسـط السحاب المتراكم ، وهو يسبق المطـر الشـديد ـ غالبـا ـ وتحـدث عن السيل المنهمر الذى جـرف كل شىء فى طـريقة ، واقتلـع الأشجار من جذورها وهدم البيوت الا ما شيد بالصخر منهـا ، وأشـار الى ما يحمـله السيل من غثـاء ، يلقيـه على الأرض والجبـال فيخططها ويلونهـا ، فتبدو كأنها فرشت بالبرود الزاهيـة الألوان ، ويتراءى جبـل أبان بعد أن غطـاه السيل بغثـائه وأوراق الشجر التى يحملها مثـل شيخ ملتف فى كسـاء مخطط . ووصف الشـاعر السباع التى أغرقها السـيل ، وهى ترفع رؤوسها مخـافة الغـرق فتظهـر تلك الرءوس كأنها جذور البصـل البرى ، والوعـول التى نزلت من منازلها فوق الجبال هربا من الغرق .

وأخبر الشـاعر أن السحاب كان يسـد الأفق حتى يظن من يراه أنه ممتد من ديار بنى أسـد الى ما وراء بلاد البحرين .

---

(١٥) الغبيط : موضع . بعاعه : ثقله . العياب : الحقائب . المخول : كثير المتـاع .
(١٦) غـدية : فى الصباح . أنابيش العنصل : جذور البصل البرى .
(١٧) قطن : اسم جبل فى ديار بنى أسد . الشيم : النظـر الى البرق والمطر . الستار ويذبل : جبلان .

وتبدو الصحراء فى شعر عمرو بن معد يكرب واسعة مهلكة للمطى ، يربض بها الذؤبان ، وتصيح بها الجنان ، وتتناثر على جوانبها الأشلاء والعظام فيقول(١٨) :

فكم من غائط من دون سلمى
قليل الأنس ليس به كتيع

به السرحان مفترشا يديه كأن بياض لبته الصديع
وأرض قد قطعت بها الهواهى من الجنان سربخها مليع
ترى جيف المطى بحافتيه كأن عظامها الرخم الوقوع

وللمرقش الأكبر(١٩) وصف جيد للصحراء ، يرينا الى أى مدى كانت هذه الصحراء مرهوبة موحشة ، فهى قفر يدوى فيها الصوت لخلائها ، غبراء مهلكة تصيح فى أرجائها البوم ، وتنضى فى قطعها الناقة ، وتسرح بها الذئاب الجائعة ، جبالها شاهقة غبراء ، وليلها دامس طويل ، ورياحها شديدة مؤذية .

يقول المرقش الأكبر(٢٠) :

---

(١٨) أنظر الأصمعيات ص ١٧٦ ، الغائط : المطمئن من الأرض الواسع . كتيع : أحد . السرحان : الذئب : اللبة : وسط الصدر . الصديع : الصبح . الهواهى : ضوضاة الجن . الواحد هوهاة . السربخ : ما بينها وبين أرض أخرى . المليع : الواسع من الأرض .

(١٩) شاعر جاهلى عاصر المهلهل وشهد حرب البسوس ، واسمه عمرو ابن سعد بن مالك ، والمرقش لقبه .

(٢٠) شرح المفضليات : القسم الثانى ص ٨٢٢ .

ودوية غبـــراء قــد طــال عهـــدها
تهــالك فيهــا الورد والمـرء ناعس(٢١)

قطعــت الى معــروفهـــا منكــراتهـــا
بعيهـــامة تنســل والليــل دامس(٢٢)

تركــت بهـــا ليــــلا طـــويلا ومنــزلا
ومــوقد نــار لم ترمــه القــوابس(٢٣)

وتسـمع تزقــاء مــن البـــوم حولنـــا
كما ضــربت بعد الهــدوء النواقس(٢٤)

وتصــــبح كالــدوداة نــاط زمامهــــا
الى شعب فيها الجوارى العوانس(٢٥)

ولمــا أضـــانا النـــار عنــد نزولنـــا
عــرانا عليهــا أطلس اللــون بائس(٢٦)

نبــذت اليـــه فــلذة مــن شـــوائنا
حيــاء وما فحشي على من اجــالس(٢٧)

---

(٢١) دوية : منسوبة الى الدو ، وهى القفر التى يدوى فيهـا الصوت لخلائها ، تهالك : تسرع السير ، والورد هنا : الابل يعنى الواردة والتقدير ذو الورد ٠
(٢٢) قطعت ما لا يعرف من هذه الصحراء حتى صرت الى ما يعـرف ٠ العيهامة : الناقة القوية الجـريئة تنسل : أى تنفذ نفاذا حثيثا ٠
(٢٣) تركت بها ٠٠ الخ ٠ قطعتها وقد بقيت من الليل بقية ، وقـوله : لم ترمه القوابس : لأنه كان وحده لا أنيس له الا الوحش ٠
(٢٤) التزقاء : تفعال من الزقاء وهو صوت البوم ٠
(٢٥) الدوداة : الأرجوحة ، يقـول : تصبح النـاقة وكانها لاضطرابها أرجوحة الصبيان ، والمـراد أن المنزل الذى نزله كان محبس سوء كان هو وناقته فيه فى اضطراب شديد ٠
(٢٦) أطلس بائس : ذئب جـائع ٠
(٢٧) نبذت : رميت ٠ فلذة : قطعة ٠

فـآض بهـا جـــذلان ينفـض راســـه
كما آب بالنهب الكمى المخـالس(٢٨)
واعـــرض أعـــلام كــان رءوســـها
رءوس رجـال فى خليج تغـامس(٢٩)
اذا عـــلم خلفتـــه يهتــــــدى بـــه
بدا عـلم فى الآل اغبـر طـامس(٣٠)

أما الصـحراء عند بشر بن أبى خازم فهى خرق مخوف ، تعـزف فيـه الجنـان ، وتهب خـلاله الرياح الشـديدة الحـارة ، ويلمع فيـه السـراب ، هذه الصحراء الرهيبة كان الشـاعر يقطعها بناقته فتبريهـا وتذهب لحمها وشحمها وقوتها .

يقـول بشـر(٣١) :

١ ـ وخرق تعزف الجنان فيـه فيافيـــه يخـــربها السـهام

(السهام : شئ أبيض يسقط من السـماء اذا حميت الشمس وانتصف النهـار) . ويروى : يطير بها السهام ، وقالوا : معنـاه تهب بهـا رياح شـديدة التـأثير حـارة .

٢ ـ ذعرت ظبـاءه متغـورات اذا ادرعـت لوامعهـــا الاكـام

---

(٢٨) آض : رجع . جذلان : فرحا . الكمى : الشجاع .
(٢٩) أعرض : أى أبدى عرضه . والأعلام : الجبال . الخليج : النهر ، والمراد به هنـا السـراب .
(٣٠) الآل : السراب .
(٣١) بشر بن أبى خازم من شعراء الجاهلية الفرسان ، من قبيلة بنى أسد مات قبل الاسلام ، وضعه ابن اسلام فى الطبقـة الثانية من الفحول . والأبيات ديوانه ص ٤١ تحقيق د. عزه حسن ، وفى شرح المفضليات القسم الثالث ص ١٥٤ .

(اللوامع : ما يلمع من السراب • والاكام : الجبال الصغار • متغوزات : نصف النهار أى قائلة) •

٣ ـ بذ علبة براها النص حتى   بلغت نضارها وفنى السنام

(الذعلبة : السريعة • النص : شدة السير • النضارة الخالص) •

ولئن مر بنا فيما تقدم من شعر يصف الصحراء اشارات الى سباع الصحراء ووحشها ، فان الشاعر متمم بن نويرة يصور موقفا مؤثرا يشير الى ما كان ينطبع فى أخيلتهم من صورة السباع وما استقر فى نفوسهم من رهبتها والحذر منها ، يتخيل الشاعر نفسه وهو يحتضر ، وبالقرب منه تترصده ضبع جائعة تنتظر موته لتأكله ، ويتخيل الشاعر ما ستفعله به تلك الضبع من جذب لحمه وتمزيقه حتى تاكل وتطعم صغارها منه فيقول(٣٢) :

يا لهف من عرفاء ذات فليلة
جاءت الى على ثلاث تخمع

ظلت تراصدنى وتنظر حولها
ويريبها رمق وانى مطمع

وتظل تنشطنى وتلحم اجريا
وسط العرين وليس حى يدفع

لو كان سيفى باليمين ضربتها
عنى ولم اوكل وجنبى الأضيع

---

(٣٢) الأبيات فى شرح المفضليات ، القسم الأول ص ١٥٩ •
الفلائل : قطع الشعر ، وكل ملتف فليل • واحدتها فليلة •
تمخع : تظلع ، وكذلك الضبع عرجاء •

ولقد كانت الحشرات الضارة ـ خاصة الحيات ـ مصدر شر يتوجس العرب منه خيفة ، ويفزعون لرؤيته فزعا لا يقل عن فزعهم من السباع الضارية ٠

يصف الشاعر ابو مهدية الكلابى حية شنعاء كادت تقتله ، فلم ينس هول ما رأى وبشاعة ما أحس فقال :

قد كاد يقتلنى اصم رقش   من جب كلثم والخطوب كثير
حتى اصد الله عنى راسه   والله بالمرء المضاف بصير
خلقت لهازمه عزين وراسه   كالقرص فلطح من طحين شعير
وكان شدقيه اذا ما اقبلا   شدقا عجوز مضمضت لطهور
ويدير عينا للوقاع كانها   سمراء طاحت من نفيض برير(٣٣)

ولم يقتصر حديثهم على السباع والحيات ، بل وصفوا الغول كذلك ، ولست أدرى اذا كانت هذه الغول صورة متخيلة أوحى اليهم بها خوفهم أم هى صورة حقيقية لحيوان رأوه وصارعوه ٠

يقول تابط شرا :

الا من مبلغ فتيان قومى   بما لاقيت عند رحا بطان
فانى قد لقيت الغول تهوى   بسهب كالصحيفة صحصحان
فقلت لها : كلانا نضو دهر   اخو سفر ، فخلى لى مكانى

---

(٣٣) الأصمعيات ص ١٢٣ ، تحقيق أحمد شاكر وهارون ـ بيروت ـ الطبعة الخامسة ٠

فشدت شدة نحوى فأهوى لها كفى بمصقول يمانى
فأضربها بلا دهش فخرت صريعا لليدين وللجران
فقالت : عد ، فقلت لها رويدا مكانك اننى ثبت الجنان
فلم أنفك متكئا لديها لانظر مصبحا ماذا اتانى
اذا عينان فى راس قبيح كراس الهر مشقوق اللسان
وساقا مخدج وشواة كلب وثوب من عباء أو شنان(٣٤)

أما فقر البيئة وشحها ، وما كان يتحمله أهلها من مشقة الجوع والمسغبة ، وما كان يهددهم فيها من الهلاك بسبب ذلك فتصوره هذه الابيات لابى خراش الهذلى حيث يقول(٣٥) :

وانى لاثوى الجوع حتى يملنى
فيذهب لم يدنس ثيابى ولا جرمى(٣٦)

واغتبق الماء القراح فانتهى
اذا الزاد امسى للمزلج ذا طعم(٣٧)

أرد شجاع البطن قد تعلمينه
واوثر غيرى من عيالك بالطعم

مخافة ان أحيا برغم وذلة
وللموت خير من حياة على رغم

---

(٣٤) راجع معجم البلدان لياقوت : المجلد ٣ ص ٣١ ٠
(٣٥) أنظر د٠ شوقى ضيف : العصر الجاهلى ص ٣٧٦ ٠
(٣٦) أثوى الجوع : أطيل حبسه ٠
(٣٧) أغتبق : أشرب عشاء ٠ المزلج : البخيل ٠

كما يصـور شـعر الصـعاليك أطـرافا من شظف العيش الذى كان يدفعهم الى المـوت دفعـا ، حتى جعـلوا السلب صناعتهم ، والجـرأة على اقتحام الأخطـار بضاعتهم ، يفضـلون المـوت قتـلا على الهـلاك جـوعا ، ويعـاون بعضهم بعضـا فى الغـزو والسلب ، ويحتكمـون الى قيـم خاصـة بهم .

ها هو ذا الشنفرى أحـد الصعاليك الشـعراء يصـور لحظـة من حياتهم يبدو فيهـا تابط شرا أميـر الصعاليك مثـل الأم التى توزع الأنصبة من الطعـام على بنيهـا الجيـاع ، ويا لهـا من أم فقيـرة ضـائعة تعول أسـرة مشـردة ، يغيش أفـرادها فى خطر دائم .

يقـول الشـنفرى :

وأم عيـال قد شـهدت تقـوتهم　　اذا أطعمتهم او تحت واقلت(٣٨)

تخـاف علينـا العيـل ان هى أكثـرت

ونحـن جيـاع أى آلـت تآلـت(٣٩)

مصـعلكة لا يقصـر السـتر دونهـا

ولا ترتجى للبيت ان لـم تبيـت(٤٠)

لهـا وفضـة فيهـا ثـلاثون سـيحفا

اذا آنسـت أولى العدى اقشـعرت(٤١)

وتاتى العـدى بـارزا نصـف سـاقها

تجـول كعيـر العـانة المتلفت(٤٢)

---

(٣٨) المراد بأم العيال : تابط شرا . أو تحت : قترت .
(٣٩) العيل : الفقر . أى آلت تآلت : أى سياسة ساست .
(٤٠) مصعلكة : صاحبه صعاليك . لا يقصر الستر دونهـا : لا تغطى أمـرها .　(٤١) وفضة : جعبة . السيحف : السهم العريض النصل
(٤٢) العدى : الأعداء . بارزا نصف ساقها : كناية عن الجد فى الأمر . العير : حمار الوحش . العانة : جماعة الأتن الوحشية .

ولقد كان فقـر البيئـة أحد العوامل التى جعلت هؤلاء الصعاليك يخـرجون على النظـام العـام للقبيلة ، ويحترفون السلب والغارة وسيلة لتحصـيل ما يكفيهم من الطعـام والمـال ، « وتتردد فى أشعارهم جميعـا صيحات الفقـر والجـوع ، كما تمـوج أنفسهم بثـورة عارمة على الأغنياء والأشـحاء » .

وكما كان الفقـر دافعـا كان مبررا كذلك لخـروجهم وغاراتهم ، كما يبدو من شعر عـروة بن الورد الذى يرد فيـه على زوجه التى لامته على سـلوكه ، ومخاطرته بنفسـه فى الغـزو ، ويبرر لهـا أفعـاله بأنه انما يرمى بنفسـه فى المهالك من أجل أن يوفـر لها ما يكفيها من المـال ، وليستطيـع الوفـاء بحقـوق ذوى قـرباه المحتـاجـين وغيـرهم مـن الضعفاء والفقراء . يقول عـروة(٤٣) :

اقـلى على اللـوم يـا ابنـــة منـــذر

ونامىفانلم تشتهى النوم فاسهرى(٤٤)

ذرينـى ونفـسى أم حســـــان اننـى

بها قبل أن لا أملك البيـع مشترى(٤٥)

أحـاديث تبقـى والفتـى غيـر خـالد

اذا هـو أمسى هـامة تحت صبر(٤٦)

---

(٤٣) هو عروة بن الورد بن زيد بن عبد الله بم ناشب بن هرم ، أحد شعراء الجاهلية وفرسانها وصعاليكها المعدودين كان يدعى (عروة الصعاليك) .

(٤٤) ابنة منذر : امرأته سلمى سباها من كنانة وأعتقها وتزوجها ، وأم حسان كنيتها .

(٤٥) البيع : بمعنى الشراء هنا يقول : ذرينى أشترى المجد قبـل أن لا أملك ذلك .

(٤٦) الهامة : روح القتيل التي تطالب بالثأر فى زعم العرب .

تجاوب احجار الكناس وتشتكى
الى كل معروف تراه ومنكر(٤٧)

ذرينى اطوف فى البلاد لعلنى
أخليك أو أغنيك عن سوء محضر(٤٨)

فان فاز سهم للمنية لم أكن
جزوعا وهل عن ذاك من متأخر

وان فاز سهمى كفكم عن مقاعد
لكم خلف أدبار البيوت ومنظر

تقول لك الويلات هل أنت تارك
ضبوءا برجل تارة وبمنسر(٤٩)

ومستثبت فى مالك العام اننى
أراك على أقتاد صرماء مذكر(٥٠)

فجوع بها للصالحين مزلة
مخوف رداها أن تصيبك فاحذر(٥١)

---

(٤٧) الكناس : موضع .

(٤٨) التخلية : الترك والمراد هنا فراقها بقتله ، فهو اذا قتل تزوجت غيره ، واذا عاد أغناها .

(٤٩) الضبوء : اللصوق بالأرض والاستتار للصيد . الرجل : الرجالة . المنسر : الجماعة من الخيل .

(٥٠) الأقتاد : خشبات الرحل . الصرماء : قليلة اللبن . المذكر : التى تلد الذكور وهو أفظع ما يكون من نتاج العرب وأبغضه اليهم . تقول : هل أنت مستثبت هذا العام فى مالك ؟ فانى أخاف عليك ألا ترجع ، فانك لا تزال تغير فكيف تراك تسلم ، وجعل من هذه الناقة للداهية .

(٥١) فجوع : تفجع الناس وهو من صفة الصرماء . الصالحون : ذوو المعروف . مزلة : تزل بأهلها .

ابى الخفض من يغشاك من ذى قـرابة

ومن كل سـوداء المعـاصم تعترى(٥٢)

ومستهنىء زيـد أبـوه فـلا أرى

له مدفعا ، فاقنى حياءك واصبرى(٥٣)

وفى أبيـات عـروة السـابقة اشـارات عديدة الى المـوت - اقـرأ الأبيـات الستة الأولى - وفيهـا كذلك اشـارات الى الفقـر الذى يرجـو الشاعر دفعه والتخلص منه بالترحل والغـزو .

وقد أعلن الشـاعر أنه يغـامر من أجـل أن يدرك الغنى الذى يكفيه وزوجـه ذل السـؤال والحـاجة ، ويعينه على مسـاعدة أقاربه الفقـراء فان لم يدرك تلك الغـاية فالموت أفضـل من حياة الذل والهوان .

هكذا كانت الصحراء بطبيعتها الرهيبـة ومناخها القاسى ، ووحوشها الضـارية ، وحشراتها الفتـاكة ، وفقـرها المهلك عاملا قـويا ضاعف من احسـاس الشـاعر الجاهلى بالموت .

* * *

---

(٥٢) الخفض : الدعة ولين العيش . سوداء المعاصم : المرأة التى أجهدها الجدب والهزل وشدة الجوع .

(٥٣) المستهنىء : طالب الهناء وهو العطاء . زيد أبوه : رجل من قومه يجتمع معه فى زيد جده . راجـع الأصمعيات ص ٤٣ ، تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون - ط. بيروت .

الفصل الثانى

الحـــــروب

الحـروب هى مواسم حصـاد الأرواح ، فيهـا تطحن رحى المنيـة عظـام الرجال ، وتغتـال نفوس الأبطـال ، وهى مواسم شـؤم تخلف وراءها ضياع اليتم وألم الفقد وأحقـاد الثـأر •

وقـد يكون للحـرب غـاية وهدف ، فتكتسب بذلك مبررا مقنعـا يهون الموت فيهـا على ذوى الهمم العـالية ، كما هو الشـأن فى حـروب الجهاد من أجـل اعـلاء كلمة الحـق والدفاع عن حـوزة الدين •

أما اذا كانت الحـرب بلا غـاية شريفة تنتهى اليها ، أو هدف سـام قامت من أجله فبئست هى وبئس مشعلوها •

ولقد كانت أكثر حروب العرب فى الجاهلية من هذا الصنف الكريه • فأشهر الحـروب وأكبرها قامت لأسـباب تافهـة لا تستوجب اراقة الدم وازهـاق الأرواح ، فحـرب البسـوس التى تعـددت أيامها ، وكثـرت ضحاياها ، وامتـد أجلهـا أربعـين سنة بين قبـائل بكـر وقبـائل تغلب كان سببها أن كليبا سيد تغلب قتـل ناقة للبسـوس خـالة جسـاس بن مرة أحـد سـادة بكـر وفرسـانها ، فاسـتثارت خالتـه حميتـه فذهب الى كليب وقتـله ، ولم تـرض قبيـلة بكـر بالفـدية ، فاشتعلت الحـرب الضروس التى شهدتها عدة أجيال (١) •

---

(١) راجع العقد الفريد جـ ٥ ص ٢١٣ ـ دار الكتاب العربى ـ بيروت •

أما حــرب داحس والغبــراء التى تطــاير شــررها وحمى أوارها بين عبس وذبيــان فقد كانت بسبب رهــان على ســباق بين فــرسين هما داحس والغبــراء(٢) .

والأمــر فى نظر العقــلاء لا يستحق نشوب حرب ، لكنها العقليــة الجاهلية البدوية التى لم يهذبها دين فاستجابت لاغــواء الشيطان واتبعت نداء الحمق والهــوى فأشعلت الحرب الضروس لأمر تافه .

وقد كان لبعض الحــروب والغــارات مبرر اقتصــادى كالمنازعة على بئر مــاء أو المنــافسة على مكان معشب ، وقــريب من هذا غــارات السلب وأحداث قطــع الطــريق التى كانت تراق فيهــا الدماء فــوق رمــال شبه جــزيرة العــرب .

وليس هناك أمة وعى التاريخ أنها اقتتلت مثل العرب الجــاهليين فلقد تعددت حــروبهم وعرفت بأيام العــرب ، وســطرت فيهــا كتب ، وأفردت لها الأبواب فى كتب التاريخ وكتب الأدب .

وتبلــغ أيام العــرب وحــروبهم من الكثرة مبلغــا كبيرا حتى انه ليقــــال :

« ان أبا عبيدة المتوفى سنة ٢١١ هـ صنف فى ألف يوم ومائتين منها كتابا اعتمد عليه من جاءوا بعده »(٣) .

ولقد وسمت هذه الأيام الكثيرة فى ذاكرة التاريخ بعلامات مختلفة ، فقد يسمى اليوم باسم المكان الذى حدثت فيــه الحــرب كبئر مــاء أو جبل أو غير ذلك .

---

(٢) راجع العقد الفريد جـ ٥ ص ١٥٠ .
(٣) د. شوقى ضيف : العصر الجاهلى ص ٦٤ .

وقد تسمى الحرب باسم السبب الذى أحدثها ، أو باسم حادثة مشهورة وقعت فيها .. وهكذا ..

وتشغل الحروب حيزا كبيرا فى ديوان الشعر الجاهلى ، بل ان هناك أغراضا عديدة فى الشعر نشأت من وحى الحرب ، فشعر الحرب والخيل ، وشعر الفخر والحماسة ، وكثير من شعر الرثاء ، يدور حول الحرب واصفا أدواتها أو حاثا ومحرضا عليها ، أو راصدا لنتائجها من ظفر وخيبة ، أو مسجلا لأحداثها من كر وفر وثبات وادبار وقتل وأسر وغير ذلك ، أو باكيا أبطالها الذين قتلوا .

والذى يقرأ الشعر الجاهلى فى الحماسة والفخر يظن أن القوم استهانوا بالموت الى حد كبير ، وأن احساسهم به تبلد ، وأن مزاجهم الف الدم والقتل ، فاستساغ كل ذلك ولم يستقبحه .

بيد أن شعرهم فى الرثاء يعرى ما خفى من نفوسهم فى هذا الجانب، ويظهر جزعهم من الحرب ، ويجلى احساسهم بالموت وكراهية ما هم فيه من اقتتال ، كما تظهر تلك الأمور أيضا فى أشعار بعض حكمائهم الذين عرفوا برجاحة العقل وسمو النفس ، على أن الحقيقة التى لا تقبل الجدل هى أن الحرب فى واقع الجاهليين أوشكت أن تكون عادة ، فهم بين حرب يخوضونها أو حرب يستعدون لها ، بين اغارة أو دفع لغارة ، بين كر وفر دائمين .

يصور ذلك تلك الأبيات لدريد بن الصمة (٤) :

وانا للحم السيف غير نكيرة ... ونلحمه حينا وليس بذى نكر
يغار علينا واترين فيشتفى ... بنا ان أصبنا أو نغير على وتر

---

(٥) أنظر : العصر الجاهلى ، د. شوقى ضيف ص ٦٤ .

قسمنا بذاك الدهر شطرين بيننا   فما ينقضى الا ونحن على شطر

ولست أنكر أن نزعة الفخر هى الغالبة على تلك الأبيات ، لكنى أحس وراء هذه النزعة شيئا من الضيق بهذه الحياة ، وبعضا من الكراهية لها ، فالشاعر وقبيلته طعام للسيوف يغار عليهم ويقتل منهم ، وقد انقسم الدهر فى حياتهم شطرين فى كليهما قتل ، يغار عليهم أو يغيرون على غيرهم .

وما اتعس حياة لا تنفك عن الصراع الدموى ؛ ولا تزايلها الحروب ويعيش أصحابها يتجرعون كؤوس الموت باستمرار ، ويجترون مرارة الحقد والرغبة فى الثار والانتقام .

ولم تقتصر الحروب على قبائل دون غيرها ؛ فكلهم ذاق مرارتها ، وكلهم أغار وأغير عليه ، بل ان الحرب كانت تشتعل ـ أحيانا ـ بين الجيران وذوى القربى كما يبدو من قول القطامى(٥) :

اغرن من الضباب على حلول   وضبة انه من حان حانا

واحيانا على بكر اخينا   اذا ما لم نجد الا اخانا

وهم فى وصفهم للحرب ، وتصويرهم لما نزل بالأعداء من قتل وأسر وطرد ، يقعون على صور غاية فى القسوة حتى ليظن المرء أن قلوبهم أشربت القتل ، فهم يجدون متعتهم فى وصف المصارع والدماء واظهار التشفى بما الحقوه بالأعداء ، وينعتون الخيل والفرسان بما يدل على الغلظة ، ويفصلون فى ذكر آثار الهزيمة ومرارتها ، وهذه أبيات للشاعر بشر بن أبى خازم تتضمن تلك المعانى ، يقول بشر(٦) :

---

(٦) راجع الأبيات وشرحها فى شرح المفضليات للتبريزى ، القسم الثالث ص ١١٩٧ .

سائل تميما فى الحروب وعامرا
وهل المجرب مثل من لم يعلم

غضبت تميم أن تقتل عامر
يوم النسار فاعقبوا بالصيلم

أى كانت الصيلم عاقبة أمرهم . والصيلم : الداهية . وهذا تهكم ، والصيلم فيعل من الصلم ، وهو القطع ، أى المصطلمة لجماعتهم .

كنا اذا نعروا لحرب نعرة
نشفى صداعهم براس صلدم

نعروا : هاجوا واجتمعوا . والنعرة : أبهة تاخذ فى الرءوس والأنوف ، ومعنى نشفى صداعهم : كناية عن مداواة دائهم وازالة الكبر من رءوسهم . والرأس : الرئيس . وصلدم : شديد .

نعلو القوانس بالسيوف فنعتزى
والخيل مشعلة النحور من الدم

أى ملطخة الصدور بالدماء السائلة عليها . وقيل : انما أراد كأنها أشعلت فيها نار لتأثير الطعن فيها ودفعها بالدماء السائلة منها .

يخرجن من خلل الغبار عوابسا
خبب السباع بكل أكلف ضيغم

أى بكل رجل كأنه أسد أكلف ضيغم . والضغم : العض . والعوابس : الكريهات المنظر .

من كل مسترخى النجاد منازل
يسمو الى الأقران غير مقلم

منـازل : ينازل اقرانه ، ولا يتبخل نفسه بملاقاة من لا يؤبه له ٠ وجعله غير مقلم لكونه تام السلاح ٠

ففضض جمعهم وافلت حاجب
تحت العجاجة فى الغبار الأقتم

وراوا عقابهم المدلة أصبحت
نبذت بافضح ذى مخالب جهضم

كانت راية بنى تميم على صورة العقاب وراية بنى أسد قبيلة بشر على صورة الأسد ، والمدلة : التى تدل على الأقران ٠ والمعنى : قوبلت علامتهم العقابية بعلامتنا الأسدية ، والفضحة : شهبة تعلوها حمرة ٠

اقصدن حجرا قبل ذلك والقنا
شرع اليه وقد أكب على الفم

يعنى حجر بن الحارث ـ الملك ابن عمرو ـ قتلته بنو أسد ، وهو أبو امرىء القيس وقوله : والقنا شرع : أى قد تهيأت للطعن ، وقد أكب لوجهه : أى سقط ٠

ينوى محاولة القيام وقد مضت
فيه مخارص كل لدن لهذم

المخارص : الأسنة ٠ واللهذم : الحديد ٠ أى ينوى أن يقوم فلا يقدر وقد مضت فيه الأسنة ٠

وبنو نمير قد لقينا منهم
خيلا تضب لثاتها للمغنم

تضب : تسيل ٠ و (نمير) ابن عامر بن صعصعة : اللثات : جمع

لثة وهى اللحمة المركبة فيها الأسنان · يقال : فلان تضب لثته على وتبض ، اذا كان حريصا عليه ·

فدهمنهم دهما بكل طمرة
ومقطع حلق الرحالة مرجم

لحقنهم بكل فرس وثابة لنشاطها ، سريعة فى مرها ، يقطع الحزام لعظم جوفها ·

ولقد خبطن بنى كلاب خبطة
الصقنهم بدعائم المتخيم

يريد دسن بنى كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة · والخبط : الضرب ولذلك قيل : هو يخبط خبط العشواء · ومعنى الصقنهم الجانهم الى الالتصاق بدعائم البيوت المضروبة · يريد : رددنهم أسوأ الرد فى متخيمهم ·

وصلقن كعبا قبل ذلك صلقة
بقنا تعاوره الاكف مقوم

يريد كعب بن ربيعة بن عامر · والصلق : رفع الصوت ، ومثله السلق ، فيقول : أوقعنا بهم وقعة لها فى الناس صوت وذكر ·

وقيل : الصلق : الضرب على الشىء اليابس ، وقوله : بقنا تعاوره : يريد فعلنا تلك الصلقة من قبل بقنا تداوله الأيدى لاطرادها واستوائها ·

حتى سقينا الناس كاسا مرة
مكروهة حسواتها كالعلقم

العلقم : شجر مر · أ · هـ ·

وواضح أن الشاعر يعدد القبائل التي اصطلت بالحروب وذاقت

مرارة الهزيمة على أيدى فرسان بنى أسد ، وهو يصف المصارع التى وردها رؤساء القبائل المهزومة ، ويشير الى صفات الخيل ونعوت الفرسان ، ويشير الى اثر الهزيمة فى القوم ويشبهها بالكاس المرة المشبهة للعلقم .

وعلى هذا النحو يتحدث الأعشى عما انزلته قبيلته بالقبائل الأخرى من نكال وقتل ، وان ذلك الأمر مشهور عنهم بين الناس ، فيقول :

سائل بنى أسد عنا فقد علموا
ان سوف ياتيك من ابنائنا شكل
واسال قشير او عبد الله كلهم
واسال ربيعة عنا كيف نفتعل
انا نقاتلهم حتى نقتلهم عند اللقاء وهم جاروا وهم جهلوا
لئن منيت بنا عن غب معركة لم تلفنا من دماء القوم ننتفل
قد تخضب العير من مكنون فائله
وقد يشيط على أرماحنا البطل
نحن الفوارس يوم العين ضاحية
جنبى فطيمة لا ميل ولا عزل
قالوا الركوب فقلنا تلك عادتنا
أو تنزلون فانا معشر نزل(٧)

---

(٧) د. شوقى ضيف : العصر الجاهلى ص ٣٠٢ . شكل : أزواج مختلفة ، يريد خبرا بعد خبر . نفتعل : نفعل العظائم . غب : عقب . يقصد أنهم لا يتعبون من لقاء الأعداء . العير : حمار الوحش استعارة للفرس . الفائل : القناة الدموية كالشريان ، يشيط : يهلك . تنزلون : تضربون بالسيوف .

والأبيات فى مجملها تدور حول المعانى التى دارت حولها أبيات بشر بن أبى خازم لكن الجدير بالملاحظة أن قبيلة بنى أسد التى فاخر بها بشر وصورها منتصرة تذيق القبائل مرارة الهزيمة ، هذه القبيلة (بنو أسد) ورد ذكرها فى صدر أبيات الأعشى على أنها تعرف شجاعة القبيلة التى ينتمى اليها الأعشى ، وما ذلك الا عن تجربة ، فهى فى أبيات الأعشى ممن هزموا وذاقوا النكال والقتل ، وذلك يدل على أن كل القبائل ذاقوا مرارة الحرب مهزومين كما فاخروا بها منتصرين ٠

كما يصور مهلهل بن ربيعة فعله ببجير بن الحرث بن عباد ابن مرة ، وهمام بن مرة ، وكيف تركهما وغيرهما من القتلى غارقين فى دمائهم تطيف على أشلائهم النسور ، ويصف ما نزل بالوخوم من بني عامر بن ذهل على يديه من سوء يوم عنيزة ، فيقول :

فانى تركت بوار دات بجيرا فى دم مثل العبير
وهمام بن مرة قد تركنا عليه القشعمان من النسور
وصبحنا الوخوم بيوم سوء يدافعن الأسنة بالنحور
كأنا غدوة وبنى أبينا بجوف عنيزة رحيا مدير
فلولا الريح أسمع أهل حجر
صليل البيض تقرع بالذكور(٨)

---

(٨) المهلهل : امرؤ القيس بن ربيعة بن الحارث سيد تغلب وفارسها وشاعرها القديم ٠
واردات : موضع كان فيه يوم بين بكر وتغلب ٠ القشعم : المسن من الرجال والنسور والرخم وقد أراد بالمثنى الجمع ٠ الوخوم : من بنى عامر بن ذهل ٠ عنيزة : موضع ٠ وحجر : مدينة باليمامة ٠ وأراد بالذكور : أجود السيوف وأيبسها واشدها ٠ وقد أفرط فى المبالغة ، اذ جعل صليل السيوف يسمع باليمامة لولا الريح وقد كانت حربهم بالجزيرة وبين الموضعين عشرة أيام ٠

وتجد مثل هذه الصور فى شعر امرىء القيس وعنترة بن شداد وعمرو بن كلثوم وغيرهم .

وقد يدل ذلك على استهانة القوم بالموت وجراتهم عليه ، لكنه يدل في الوقت نفسه على أن الموت كان يملأ حياتهم ، وأن صورته لم تفارق أخيلتهم ، وهم يمجدون الحرب فى حالة النصر والظفر ، وعند الهزيمة يجترون الأحزان .

وفى فطرة الناس التى فطرهم الله عليها كراهية الحرب وحب السلام والتعلق بالحياة ، ولا ادل على ذلك من قول الله عز وجل - فى معرض حث المؤمنين على الجهاد فى سبيل الله :

« كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وانتم لا تعلمون » .

ويمثل زهير بن أبي سلمي صوت النذير العاقل الذى يعو قومه لنبذ الحرب والتعايش فى سلام ، وتطالعنا فى شعره صور كريهة للحرب ، تنفر الناس منها ، وتبصرهم بشؤمها ووبالها ، وتحذرهم عواقبها الوخيمة ، فيصور الحرب أسدا ضاريا ، وناراً مشتعلة ، ورحى تطحن ، ويصورها ولوداً لأجيال الحقد والشؤم والثار والانتقام ، وهى لذلك لا يجنى الناس منها الا الخسران والبوار .
يقول زهير(٩) :

---

(٩) راجع شرح القصائد المشهورات لابن النحاس ص ١١٢ .

وما الحرب الا ما علمتم وذقتم
وما هو عنها بالحديث المرجم
متى تبعثوها تبعثوها ذميمة
وتضر اذا اضربتموها فتضرم
فتعرككم عرك الرحى بثفالها
وتلقح كشافا ثم تحمل فتتئم
فتنتج لكم غلمان أشام كلهم
كاحمر عاد ثم ترضع فتفطم
فتغلل لكم ما لا تغل لأهلها
قرى بالعراق من قفيز ودرهم

ولقد أشار الشاعر شعبة بن قمير الى بعض العوامل التى سبق الحديث عنها ، والتى كانت تقوى احساس الشاعر الجاهلى بالموت فى قوله :

هلك الذين تحملوا من عندنا
بالقتل والحيات والأوصاب
وبقيت بعدهم فادركنى البلى
حتى للأياما أسيغ شرابى(١٠)

* * *

---

(١٠) هو شعبة بن قمير الطهوى ـ جاهلي أدرك الاسلام ـ شعر بني تميم ص ٤٣٥ .

الفصل الثالث

الرحلة

من المعروف أن حياة العرب كانت تعتمد على الترحل والانتقال من مكان الى آخر تتبعا لمساقط الغيث ومنابت الكلأ ٠

والرحلة فى حقيقتها وداع وترك ، ينتقل الحى فيودع جيرانه ويترك مكانه ، ويشط المزار بين المنزل القديم والمنزل الجديد وبين الرحلة والموت شبه من تلك الأوجه ٠

وبينهما كذلك شبه من جهة العاقبة ، فالموت يعقبه التغير والفناء ، وكذلك الرحلة ٠ فالقوم بعد أن يتركوا منازلهم تغيرها الرياح وتعبث بها ، وتسكنها من بعد أهلها أسراب الوحش وحيوان الصحراء ، ولهذا نرى كل الشعراء الجاهليين يقفون على آثار الديار ، يبكون ويستبكون ، ويسترجعون الماضى والذكرى ، والذى يستعرض بكاء الأطلال يلاحظ أن الشعراء فى هذا الغرض يستخدمون الألفاظ الدالة على الفناء والبلى والتغير والزوال ، ويلاحظ أيضا أن الشعراء فى وصفهم للديار فى ماضيها والتعجب من مصيرها الذى آلت اليه يلمون بمعان شبيهة بمعانى الرثاء ، كما يشيرون الى فعل الزمان ويد الدهر ، والى سوابقه فى التغيير والافناء ٠

كل ذلك يدل على أن الترحل يذكر بالموت ويقوى الاحساس به وما يزال الناس الى يومنا هذا يبكون عندما يودع بعضهم بعضا عند رحلة أو سفر لما ارتبط فى الأذهان وفى الوجدان من علائق بين الموت والارتحال ، ففي كلا الأمرين فراق واغتراب ٠

يقول الدكتور نصرت عبد الرحمن :

وفى نسيج الوجود خيطان ، خيط الحياة وخيط الموت ، والحياة والموت سداة الوجود ولحمته ، وفى الطلل حاول الشعراء الجاهليون أن يظهروا الخيطين معاً ، فظهر القلق من أمر الموت ، أو من الفناء ، فقد رحل الانسان الذى نصب الأثافى وطها الطعام ، ورحل ساكنو البيت ... ومن القلق يتولد البكاء ، ولذا بدا البكاء على الطلل بكاء انسان قلق يحس بعمق أن الفناء يتربص بالانسان »(١) ٠

وقد كان العرب ـ لذلك ـ يكرهون الترحل لما فيه من فراق للأحبة ويتشاءمون به على نحو ما يقول النابغة :

زعم البوارح أن رحلتنا غداً وبذاك خبرنا الغداف الأسود

لا مرحبا بغد ولا اهلا به ان كان تفريق الأحبة فى غد

حان الرحيل ، ولم تودع مهددا

والصبح والامساء منها موعدى(٢)

أما ألفاظ الفناء ومعانى الحزن فى وصف ديار الأحبة الذين ارتحلوا فهى فى الشعر الجاهلى أكثره ، وحسبنا أن نشير الى بعض الأمثلة من المعلقات ٠

فى معلقة امرىء القيس أول من وقف واستوقف وبكى واستبكى بدأ الشاعر ببكاء الديار ووصف ما لحقها من تغير بعد رحيل أهلها عنها ، ووصف حزنه وأساه على فراق الأحبة ، فقال :

---

(١) أنظر الصورة الفنية فى الشعر الجاهلى فى ضوء النقد الحديث ، د٠ نصرت عبد الرحمن ص ١٦٢ ، مكتبة الأقصي ـ عمان ١٩٧٦ ٠

(٢) ديوان النابغة : ص ١٠٥ ٠

قفــا نبـك مــن ذكـرى حبيــب ومنزل
بسـقط الـلوى بين الدخــول فحــومل

فتوضـح فالمقــراة لــم يعـف رســمها
لمــا نســجتها مــن جنــوب وشـــمال

تـــرى بعـــر الآرام فى عـــرصـــــاتها
وقيعـــانها كـــأنه حـــب فلفـــــل

كـأنى غـــداة البـين يـوم تحمـــلوا
لـــدى ســـمرات الحى ناقف حنظـــل

وقـــوفاً بهـــا صـحبى على مطيـهم
يقـــولون لا تهـــلك أسى وتجمـل(٣)

وكما وقف امرؤ القيس وبكى وقف طرفة بن العبد على أطلال خولة واستبد به الأسى فنصحه رفاقه بالتجلد والصبر ، يقول طرفة :

لخـــــولة أطـــلال ببـرقـــة ثهمــــد
تــلوح كبــاقى الوشـم فى ظـــاهر اليــد

وقـــوفاً بهـــا صـحبى على مطيهـم
يقـــولون لا تهـــلك أسى وتجـــلد(٤)

---

(٣) شرح المعلقات السبع : ص ٤ . سقط اللوى ة منقطع الرمل المعــوج . والدخول ، وحومل ، وتوضح ، والمقــراة كلها مواضع . لم يعف رسمها : لم ينمح أثرها لهبــوب الرياح عليها من جهتى الجنوب والشمال فاذا غطتها احداهما بالتراب كشفت الأخرى التراب عنها . والآرام : الظباء . وعرصات الدار : ساحاتها . وسمرات : جمــع سمرة بضم الميم من شجر الطلح . ناقف الحنظل : الذى يشــقه . يريد : وقفت بعد رحيلهم فى حيرة وقفــة جانى الحنظـلة يشقها بظفــره .

(٤) شرح المعلقات السبع : ص ٣٥ .

أما زهير بن أبى سلمى فيصف الديار بعد عشرين سنة من رحيل أهلها ، ومن الطبيعى بعد هذه المدة الطويلة أن يصعب عليه التعرف على الديار ، وأن يعرفها بعد لأى ، فقد تغيرت معالمها ، ولم يبق منها الا آثار باهتة كالوشم فى المعصم ، واتخذ البقر الوحشى منها مسكنا ، ولما تعرف عليها حياها وفاء بحقها وحق من كان يسكنها . يقول زهير :

آمن أم أوفى دمنة لم تكلم بحومانة الدراج فالمتثلم

ودار لها بالرقمتين كأنها مراجيع وشم فى نواشر معصم

بها العين والآرام بمشين خلفة
وأطلاؤها ينهضن من كل مجثم

وقفت بها من بعد عشرين حجة
فلأيا عرفت الدار بعد توهم

أثافى سفعا فى معرس مرجل ونؤيا كجذم الحوض لم يتثلم

فلما عرفت الدار قلت لربعها
الا أنعم صباحا أيها الربع واسلم(٥)

ووقف النابغة فى ديار مية التى هجرها أهلها ، فبدت خالية الا من آثار قليلة ، وتراكم فى أركانها التراب ، ودب فى أرجائها

---

(٥) أنظر شرح المعلقات السبع ص ٥٨ . الدمنة : ما اسود من آثار الدار بالبعر والرماد وغيرهما . حومانة الدراج والمتثلم : موضعان ، والرقمتان موضعان . وقوله دار لها . يريد : داران لها بهما فاكتفى بالواحد عن التثنية . العين : البقر الواسعات العيون . والآرام : جمع رئم وهو الظبى الخالص البياض . والأطلاء : جمع الطلا : وهو ولد الظبية والبقرة الوحشية . الآثافى : حجارة توضع عليها القدر . سفعا : سودا . المعرس : المنزل . المرجل : القدر . النؤى : نهير حول البيت ليجرى فيه الماء .

الخراب وتذكر الشاعر ما حدث للقمان بن عاد الذى عمر طويلا ، ثم مات ، وأيقن أن رجوع الماضى مستحيل . قال النابغة :

يا دار مية بالعلياء فالسند ... أقوت وطال عليها سالف الأبد
وقفت بها أصيلانا أسائلها ... عيت جوابا ، وما بالربع من أحد
الا الأوارى لأيا ما أبينها ... والنؤى كالحوض بالمظلومة الجلد
ردت عليه أقاصيه ولبده ... ضرب الوليدة بالمسحاة فى الثأد
خلت سبيل أتى كان يحبسه ... ورفعته الى السجفين ، فالنضد
أمست خلاء وأمسى أهلها احتملوا ... أخنى عليها الذى أخنى على لبد(٦)

هكذا كانت الرحلة وما ينتج عنها من فراق الأحبة وبعد المنازل وخراب الديار عاملا من العوامل التى قوت احساس الشاعر الجاهلى بالموت .

ولئن كانت تلك العوامل ناشئة من الواقع الجاهلى ، فان ثمت عاملا آخر ضاعف من احساس الشاعر الجاهلى بالموت ، وهذا

---

(٦) ديوان النابغة ص ٩٠ . العلياء : المكان المرتفع . السند : السفح موقع بين القمة والوادى . أقوت : هجرها أهلها . أصيلانا : عند الأصيل . عيت جوابا : عجزت عن الجواب . الأوارى : مفردها الآرى ، وهو ما تشد به الدابة . اللأى : الشدة . النؤى ما يحفر حول البيت أو الخيمة ليجتمع فيه ماء المطر . والمظلومة الجلد : الأرض الصلبة الشاقة . لبده : تراكم التراب عليه . الأتى : المياه الجارفة . السجفان : الستاران . والنضد : المتاع .
أخنى عليها : غير أحوالها وبدلها . لبد : يقصد به نسرا يقال انه كان للقمان بن عاد عاش مديدا .

العامل لم يكن منشؤه الواقع والبيئة ، بل كان راجعا الى نفس الانسان الجاهلى ، التى لم تعرف اليقين بالآخرة ، ولم تؤمن بالبعث والحياة بعد الموت ، واعتقدت أن الموت نهاية كل شىء ، وأن الحياة الدنيا هى الفصل الأول والأخير فى قصة الوجود ، وقد كانت تلك العقيدة شائعة بينهم لافتقادهم الدين الصحيح على نحو ما سأبينه فى الفصل التالى .

* * *

الفصل الرابع

افتقادهم الدين الصحيح

لا جرم أن الايمان بالله واليوم الآخر ، واستقبال رسالات السماء بالتصديق الجازم واليقين الثابت يحل كثيرا من المشكلات التى يعجز عقل الانسان عن الوصول فيها الى الحق الصريح ٠

ان العقل البشرى قد يعجز عن تصور امكان البعث بعد الموت والحياة الآخرة اذا عمل هذا العقل بمعزل عن هدى السماء الذى تنزل على الرسل ، ولهذا ضل كثير من الفلاسفة وتاهوا ، وتشعبت بهم السبل وهم يبحثون بعقولهم فى القضايا التى أسموها (ما وراء الطبيعة) والتى تعرف فى الاسلام بالغيبيات ٠

ان التدين الصحيح المتضمن الايمان القوى بالله وباليوم الآخر ، يضىء قلب الانسان وعقله ، ويشبع تطلعات روحه ، ويغرس فى نفسه غراس الأمل فى رحمة الله ، ويجعل نفسه مطمئنة راضية ، تعمل الخير وتحبه رجاء مرضاة الله وثوابه ، وتحذر الشر وتكرهه خوفا من الله وعقابه ٠

عندئذ يصبح للحياة مغزى وهدف ، ويكتسب الموت مبررا قويا مقنعا ومرضيا للعقل الذى لا تنتهى تساؤلاته ، فيكون نهاية لمرحلة وبداية لأخرى ٠

الموت عند المتدين بالدين الصحيح أمر لابد منه واقعا وعقلا ؛ والآخرة عنده أمر لابد منه واقعا وعقلا كذلك ٠ اذ كيف تكون الحياة الدنيا هى كل الغاية من الخلق ؟ وكيف يتساوى الخير والشر ؟ ٠

وهل يرضى العقل ، أو يكون من العدل أن يصبح الدفن فى التراب هو المصير الذى ليس بعده رجعة ولا حساب ولا جزاء على اختلاف ما يقع فى دنيا الناس من أعمال ، وعلى تفاوت ما يجنيه أصحابها من نتائج غالبا ما تكون غير منضبطة بموازين الحق والعدل ؟ .

والذين يعرضون عن هدى السماء ، ولا يدينون دين الحق يتخبطون فى الظلمات ، وتسير الأمور فى نظرهم بغير منطق ودون غاية ، وتبدو الحياة فى تصورهم عبثا لا فائدة منه ولا هدف له ، ويظنون أن الموت حدث لا مبرر له ولا حكمة من ورائه ، وأن البعث أمر مستحيل لا يمكن حدوثه ... وهكذا كان أكثر العرب فى الجاهلية ، وهكذا يكون كل من يفتقد الدين الصحيح فى كل مكان وزمان .

لقد كان العرب ـ فى جملتهم ـ وثنيين ، يعبدون الأصنام من دون الله ، أو يزعمون أنها شريك له .

كما كانوا ـ فى جملتهم ـ بين شاك فى البعث ومنكر له ، وأقول : « فى جملتهم » ليصح لنا أن نستثنى من هذا الحكم قليلا منهم تمسكوا ببقايا من دين ابراهيم ـ عليه السلام ـ أو عرفوا شيئا مما صح من معتقدات أهل الكتاب اليهود والنصارى فآمنوا بوحدانية الله عز وجل وتعبدوه بما استطاعوا من الأعمال رجاء ثوابه وخوفا من عقابه فى الدار الآخرة .

أما أكثر العرب فكانوا مشركين بالله ، لا يصدقون بيوم الدين ، وبسبب ذلك غامت رؤيتهم ، وتخبطوا فى شعاب الحياة ، فلم يعرفوا معروفا ولم ينكروا منكرا فى كثير من الأمور ، وأملت عليهم بيئتهم قوانينها التى حكمت أنماط سلوكهم ، فاتخذوا السلب والنهب ، والغارة والحرب سبلا لكسب الرزق ، ونظروا الى الموت على أنه

النهاية التى ليس بعدها حياة ، ولم يعرفوا الحكمة منه واعتقدوا أنه حدث لا تقدير وراءه ولا تدبير ، على الرغم من تيقنهم أنه مصير لا فكاك منه لأحد .

وليس دقيقا ما ذهب اليه الدكتور عمر فروخ ، اذ يقول :

« البدوى موحد ، ولكنه قليل الاحتفال بالعبادات وبالدين كله اذا كان آمنا على نفسه »(١) .

وليس صحيحا ما ذهب اليه فى قوله :

« أما الجامع الروحى الذى كان فى جميع شبه الجزيرة العربية يجمع بين أفراد الأسرة ويجمع أيضا بين أفراد القبيلة فكان البر . وقد قام البر للجاهلى فى البدو والحضر مقام الدين والرابطة الاجتماعية والأخلاق الشخصية »(٢) .

واستشهد الدكتور فروخ بورود كلمة (البر) فى الشعر الجاهلى لاثبات ما ذهب اليه ، وأورد قول النابغة فى حديث الرجل والحية :

فلما وقاها الله ضربة فأسه

وللبر عين لا تغمض ناظره(٣)

وأورد قول عمرو بن كلثوم :

نجذ رءوسهم من غير بر . . . . (٤)

---

(١) تاريخ الأدب العربى جـ ١ ص ٦١ .
(٢) المرجع السابق : ص ٦٤ .
(٣) أنظر ديوان النابغة ص ١٢١ ، دار الكتب العلمية - بيروت .
(٤) تمام البيت : فما يدرون ماذا يتقونا
وهو من معلقته : راجع شرح المعلقات السبع للزوزنى ص ١٠٢ .

كما استند الى موقف طرفة من اقاربه الذين ظلموه وأكلوا حقه في الميراث ، فلم يسىء اليهم رعاية لحقوق القربى ، وذلك من البر ٠

وما استشهد به الدكتور عمر فروخ لا ينهض دليلا لاثبات البر للجاهليين وادعاء أن هذا البر كان يقوم عندهم مقام الدين والأخلاق ، لأن المعول على ما يغلب على الانسان من سلوك ، وما يشيع فى البيئة من قيم وأخلاق ، وورود كلمة البر فى بعض الأشعار ، وموقف طرفة من اقاربه لا يكفيان لاثبات البر والأخلاق الكريمة لمجتمع بأسره ، مع ملاحظة أننا لا ننفى كل مكرمة عن الجاهليين ، فقد كان عندهم بعض المكارم التى اقرهم عليها الاسلام ، فكل انسان - مهما كان الأمر - لا يخلو من خير ، وكل بيئة لا يمكن أن تكون شرا محضا ، لكن العبرة بالكثير الغالب - كما أسلفت - ٠

ونحن نجد مئات الأحداث والشواهد التى تدل على أن الشر وليس الخير هو الذي كان يغلب علي سلوك الجاهليين أفرادا وجماعات ، ومرجع ذلك الى الظروف الصعبة التى كانوا يعيشونها فى بيئة الصحراء ، والي عدم التزامهم بدين صحيح يكبح جماح الغرائز والشهوات ، ويحول بينهم وبين ارتكاب الموبقات ، فضلا عن انكارهم للبعث أو شكهم فيه ، فتصوروا أن الدنيا هى كل شىء ، من ظفر بها فقد ربح ومن خسرها فقد خسر ، ولا رجعة بعد الموت ولا ثواب ولا عقاب ٠

وقد نتج عن ذلك كله أنهم أوغلوا فى الشر ، وانتشرت بينهم الرذائل والموبقات ، كالخمر والميسر ووأد البنات والاقتتال والتمثيل بالقتلى وغير ذلك ، حتى أولئك الذين عرفوا بمكارم الأخلاق منهم واشتهروا بفعل بعض الصالحات لم يكونوا يفعلون الخير الا رغبة فى

مديح الشعراء وثنائهم ليخلد ذكرهم - بعد الموت - بتلك الأفعال على نحو ما تجد فى قول عروة بن الورد (٥) :

احاديث تبقى والفتى غير خالد
اذا هو امسى هامة تحت صبر

وفى قول سنان بن أبى حارثة (٦) :

قد يعلم القوم اذ طالت غزاتهم
فتق العشيرة والاكفاء شهادى
قد يعلم القوم اذا طالت غزاتهم
وارملوا الزاد انى منفد زادى
ولا اجىء بسوءات اعيرها
حتى يجىء من القبر ابن مياد
اثنوا على فكائن قد فتحت لكم
من باب مكرمة تعتد او واد

ولقد سمى ذلك العصر بالعصر الجاهلى ، لكثرة ما فشا فيه من الشر والفساد والحمق والطيش ٠

أما أقوالهم الدالة على عقيدتهم فى أن الحياة عبث لا جدوى منه ، وأنه لا بعث ولا حساب بعد الموت فمنها قول طرفة بن العبد فى معلقته (٧) :

---

(٥) الأصمعيات ص ٤٤ ٠
(٦) الأصمعيات ص ٢٠٩ ٠ وسنان بن حارثة شاعر جاهلى وسيد شريف فارس ، وهو أبو هرم بن سنان ممدوح زهير بن أبى سلمى المشهور ٠
(٧) راجع شرح القصائد السبع الطوال لأبي محمد بن القاسم الانباري ص ١٩٨ ٠

فذرنى اروى هــــامتى فى حيــاتهــا
ستعلم ان متنــا غــدا اينــا الصــدى

كــريم يــروى نفســـه فى حيـــاته
مخـــافة شـــرب في الممـــات مصــرد

الى آخــر الأبيــات .

ومما يدل على أنهم كانوا يعتقدون أن الموت يصيب الناس من غير تدبير ولا حكمة تصوير زهير بن أبى سلمى - وهو من حكمائهم وأفضلهم - الموت بحـركة النـاقة العشـواء التى تخبط دون بصر أو ادراك ، وتسير من غير نظـام فلا تهتدى الى غـاية ، وذلك فى قوله(٨) :

رايــت المنــايا خبــط عشـــواء من تصب
تمتــــه ومــن تخطىء يعمــــر فيهــــرم

ولقد ذهب أكثر النقاد والمؤرخين والدارسين مذهبا يخالف مذهب الدكتور عمر فروخ فى قضية دين الجاهليين .

فالأستاذ أحمد حسن الزيات يقول عن دينهم :

« .. كان بقيــة أثرية من دين ابراهيم جاءتهم من وراء القــرون عن طـريق الوراثة ، مشــوهة لتطــاول العهــد وتحكم الجهــالة وعــدم القــرار ، فحــالت فى نفوســهم الى عبــادة الأصــنام وتعظيــم الأوثان ونصبها على الكعبة تقــربا الى الله على زعمهم ، وهذه الوثنية كانت دين الكثرة من العــرب »(٩) .

ويقول الأستاذ السيد أحمد الهاشمى :

« كان للعــرب في الجاهلية دين ، ولكنه دين ضعيف لا يخلصون له

---

(٨) شرح المعلقات السبع ص ٦٩ للزوزنى .
(٩) تاريخ الأدب العربي ص ١٠ .

ولا يصل الى أعماق نفوسهم ، وحسبنا دليلا على ذلك اننا ننظر فيما بين أيديهم من شعرهم فنرى فيه الصيد كثيرا والخمر والنساء والميسر كثيرا ، والفخر والهجاء ووصف القتال كثيرا ، ولكن قل أن نرى فيه شرحا لعاطفة دينية ، وقل أن نرى فيه ذكر الله وتمجيده ، وقل أن نرى فيه وصفا لما كانوا يعبدون »(١٠) .

ويقول الدكتور شوقى ضيف :

« كانت كثرة العرب فى الجاهلية وثنية تؤمن بقوى الهية كثيرة تنبث فى الكواكب ومظاهر الطبيعة ... وقد آمنوا بقوى خفية كثيرة فى بعض النباتات والجمادات والطير والحيوان .. فقد كانوا يشركون مع الله آلهة أخرى كما جاء فى القرآن الكريم وكانوا يتعبدون لأصنام وأوثان كثيرة اتخذوها رمزا لآلهتهم »(١١) واستشهد الدكتور شوقى ضيف بما ورد فى القرآن الكريم واشارات الى أصنام الجاهلية وأسماء تلك الأصنام كاللات والعزى ومناة ويعوق ونسر .

والدليل الدامغ أن الجاهليين كانوا أصحاب عقيدة فاسدة فى أمر الآخرة ، لا يؤمنون بالبعث والحساب ما ورد فى القرآن الكريم من آيات كثيرة ترد على مزاعمهم فى انكار البعث واستبعادهم وقوعه ، ولقد سلك القرآن الكريم طرقا عدة فى رد باطلهم وتصحيح معتقداتهم ، واظهار الأدلة العقلية التى تبرهن على أن البعث والحساب والجزاء حق لا شك فيه .

وقد تنوعت هذه الطرق بين تعجب من مذهبهم ، وتهديد ووعيد لهم ، وتأكيد على حصول البعث والحساب ، واقناع بالأدلة المبثوثة

---

(١٠) جواهر الأدب فى أدبيات وانشاء لغة العرب ، ج ٢ ص ١١ ـ المكتبة التجارية ١٣٨٥ هـ ـ ١٩٦٥ م .

(١١) أنظر تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي ـ ص ٨٩ .

فى الكون ، الناطقة بقدرة الله عـز وجـل قدرة مطلقـة لا يعجزها شىء فى الأرض ولا فى السماء ٠

فمن التعجب من أمـرهم قول الله عـز وجـل :

« وان تعجب فعجب قولهم اءذا كنـا تـرابا اءنا لفى خلق جـديد اولئـك الذين كفـروا بـربهم وأولئـك الأغـلال فى أعنـاقهم وأولئـك اصـحاب النـار هم فيهـا خـالدون » سورة الرعد آية ٥ ٠

ومن الآيات التى سلكت طريق التأكيد على وقـوع البعث وحصوله قوله تعـالى : **« زعـم الذين كفـروا ان لن يبعثـوا قـل بل وربى لتبعثن ثم لتنبـؤن بما عملتم وذلك على الله يسـير »** (سورة التغابن آية ٧) ٠ للنـاس أن الله الذى خلـق الانسـان من طـين قادر على اعادته وبعثـه الأدلة الحسية على امكان البعث ، وتحقـق الحيـاة الآخـرة ، وتبـين للنـاس أن الله الذى خلق الانسـان من طـين قـادر على اعادته وبعثـه بعد الممـات ، وما على الذين يرتابون فى ذلك الا أن ينظـروا فى آيات الله فى خلقـه ، لعـل الغشـاوة تنجلى عنهم فيهتـدون الى الايمان باليوم الآخـر وما فيـه ـ من الآيات التى سلكت هذا الطريق قـول الله عز وجل :

« يا أيهـا النـاس ان كنتم فى ريب من البعث فـانا خلقنـاكم من تـراب ثم من نطفـة ثم من علقـة ثم من مضغة مخلقـة وغيـر مخلقـة لنبـين لـكم ونقـر فى الأرحـام ما نشـاء الى أجـل مسـمى ثم نخرجكم طفـلا ثم لتبلغـوا أشـدكم ومنـكم من يتـوفى ومنـكم من يرد الى أرذل العمـر لكيـلا يعـلم من بعـد عـلم شـيئا وتـرى الأرض هـامدة فـاذا أنزلنـا عليهـا المـاء اهتـزت وربت وانبتت من كل زوج بهيـج ٠ ذلك بأن الله هـو الحـق وانه يحيى المـوتى وأنه على كل شىء قديـر ٠ وأن السـاعة آتيـة لا ريب فيهـا وأن الله يبعث من فى القبـور » ٠

(سورة الحج : آيات ٥ ، ٦ ، ٧) ٠

ولقد بلغ عدد الآيات التى ردت على منكرى البعث فى القرآن الكريم مائة وستة وستين آية . هذا بيان يوضح أرقامها ومواضعها فى كتاب الله عز وجل .

اسم السورة	رقم الآية
يونس	٧ - ٨ - ١٥ - ٤٥ - ٤٨
هود	٧
الرعد	٥ - ٦
النحل	٢٢ - ٢٣ - ٢٤ - ٢٥ - ٣٨ - ٣٩
الاسراء	٤٩ - ٥٠ - ٥١ - ٥٢ - ٩٨
الكهف	٤٨
مريم	٦٦ - ٦٧ - ٦٨ - ٦٩ - ٧٠ - ٨٠
الحج	٥ - ٦ - ٧
المؤمنون	٣٥ - ٣٦ - ٣٧ - ٧٤ - ٨١ - ٨٢ - ٨٣ - ٨٤ - ٨٥ - ٨٦ - ٨٧ - ٨٨ - ٨٩ - ١١٥ .
الفرقان	١١ - ١٢
النمل	٤ - ٥ - ٦٤ - ٦٥ - ٦٦ - ٦٧ - ٦٨
القصص	٣٩
الروم	٣٠
لقمان	٢٨
السجدة	١٠ - ١١
سبأ	٣ - ٧ - ٨ - ٩
يس	٤٨ - ٧٨ - ٧٩ - ٨٠ - ٨١ - ٨٢

تابع بيان الآيات التى ردت على منكرى البعث

اسم السورة	رقم الآيـة
الصـافات	١٥ - ١٦ - ١٧ - ١٨ - ١٩ - ٥٠ - ٥١ - ٥٢ - ٥٣ - ٥٤ - ٥٥ - ٥٦ - ٥٧ - ٥٨ - ٥٩
فصلت	٦ - ٧ - ٥٤
الدخـان	٣٤ - ٣٥ - ٣٦
الجـاثية	٢٤ - ٢٥ - ٢٦ - ٣٢ - ٣٣ - ٣٤
الأحقـاف	١٧ - ١٨ - ٣٣
ق	٣ - ٤ - ٥ - ١١ - ١٥
الذاريات	٥ - ٦ - ٧ - ٨ - ٩ - ١٠ - ١١ - ١٢
الواقعـة	٤٧ - ٤٨ - ٤٩ - ٥٠ - ٥١ - ٥٢ - ٥٣
التغـابن	٧
الجـن	٧
المـدثـر	٤٦ - ٤٧ - ٥٣
القيـامة	٣ - ٤ - ٥ - ٦ - ٤٠
المـرسـلات	٢٩ - ٣٠ - ٣١ - ٣٢ - ٣٣ - ٣٤
النـازعـات	١٠ - ١١ - ١٢ - ١٣ - ١٤
الانفطـار	٩ - ١٠
المطففـين	١٠ - ١١ - ١٢ - ١٣ - ١٤ - ١٥ - ١٦ - ١٧
الانشـقاق	١٤ - ١٥
التـين	٧ - ٨
المـاعـون	١ - ٢ - ٣

ولقد كانت العقيدة المشوشة بشان البعث والحياة الآخرة عند أكثر العرب فى الجاهلية عاملا من العوامل التى زادت من احساسهم بالموت وقلقهم منه ·

« واذا كان الخوف من الموت هو الشعور العام عند كل انسان ، فان هذا الشعور يتناقص كلما ازداد الايمان بأن هناك الها واحدا ، وأن هناك بعثا وحياة أخرى بعد الموت ، وأن هناك حسابا ونعيما وعذابا · اذا آمن الانسان بكل ذلك يتلاشى عنده الاحساس بالخوف من الموت ، وتحل بدلا منه سكينة دائمة ·

وتؤيد الدراسات الاحصائية النفسية ذلك اذ ثبت منها زيادة قلق الموت لدى انخفاض قوة الاعتقاد الدينى »(١٢) ·

* * *

---

(١٢) أنظر : قلق الموت : د· أحمد محمد عبد الخالق ، عالم المعرفة ـ الكويت ـ مارس ١٩٨٧ ·

الباب الثاني

انمــاط شــعر المــوت فى العصر الجاهلى

الفصــل الاول : رثــاء النفس .

الفصــل الثانى : رثــاء الآخــــرين .

الفصل الثالث : الحـــكمة .

الفصل الأول

رثـاء النـفس

الرثاء هو الفـن الشعرى الذى تطـور عن بكاء الميت والتحسر على فقـده وعند الموت يكون الحـزن والاشفاق ، ومحـاولة التصـبر والتعزى وقد كان النســاء فى الجاهلية يطلن التعديد والبـكاء الى سنين معـدودة ، وكان لهن فى ذلك طقـوس وتقـاليد يدللن بهـا على شـدة الحـزن ، فيحلقن الرءوس ويلطمن الخدود ويخرجن نائحات .

ثم تطـور عن هـذه الأمـور فن الرثاء ، الذى اتخـذه الشـعراء مستودعا لعواطف الحـزن على الموتى وسجلا يذكـرون فيـه أمجـادهم ومآثرهم ، وأداة للتصـبر والعزاء وتلمس السلوى .

والعاطفة في الرثاء غالبا ما تكون صـادقة ، ويتفاوت صدق العاطفة حسب الصلة التى تربط الشـاعر بالموتى ، فهى فى رثاء الأبناء والآباء ، والزوجات أقوى وأصدق منها فى رثاء غيرهم من الناس .

وعلى هذا فالعاطفة فى رثاء النفس تكون أقوى العواطف وأصدقها ، فليس أقـرب للانسـان من نفسـه .

ورثاء النفس يكون عند حضور الموت أو قـرب حضـوره ـ أو تخيل واحد من الأمـرين فحضـور الموت غالبـا ما يتصـور فى حالات الأسـر أو الاصـابة فى الحـرب . عندئذ يتصـور الفارس الشاعر نفسـه مودعا الحيـاة ، محمولا الى القبر ، فيتأثر بذلك ، ويتخيـل ما يكون بعـد موته من بكاء زوجه وذويه ويتم أبنائه من بعـده ، ثم يأخـذ فى التعزى

والتصبر ، بتذكر أمجاده السالفة ، ومآثره الباقية ، ومكرماته التى سيذكره الناس بها ، ففى كل ذلك استبقاء لذكره وخلود لسيرته .

أما تخيل الاحتضار فغالبا ما يكون عند بلوغ الشاعر أرذل العمر ، فتضعف قوته ، وتقل عند قومه قيمته ، فلا يؤبه به ولا يعتد برأيه ، فتثقل هموم الشيخوخة عليه ، ويتذكر شبابه ، وما كان يحفل به من بطولات ومآثر ثم لا يغنيه تذكره شبابه شيئا ، فقد سل المشيب عليه سيفه ، وجرده من قوته وأذهب لحميه وأوهن عظمه ، واضعف بصره . عندئذ يتعجل الشاعر الموت ويستحضره ، ويشكو بثه وحزنه .

وفى مجال البحوث النفسية الحديثة « برهن عدد من الدراسات على وجود علاقة موجبة بين قلق الموت وقلق الزمن ... ان الوعى بالزمن يمكن أن يكون فى الحقيقة أحد مكونات قلق الموت ذاته ، ويؤكد ذلك أن الانشغال بالتغيرات الجسمية وبحالة الجسم يرتبط بقلق الموت »(١) .

والحق أن رثاء النفس فى الشعر الجاهلى اقل بكثير من رثاء الآخرين ويكاد يكون رثاء النفس مقصورا على طائفتين من الشعراء . فئة من الشعراء الفرسان ، وفئة من الشعراء المعمرين .

وأعتقد أن الشعراء الذين رثوا أنفسهم جديرون بالتعريف بهم على أنهم فئة متميزة من الشعراء . خاصة وأن كثيرا منهم من الشعراء المغمورين وإن كان بينهم بعض المشهورين .

* * *

(١) قلق الموت : د. أحمد محمد عبد الخالق .

الشعراء الذين رثوا انفسهم

١ ـ امرؤ القيس

هو امرؤ القيس بن حجر بن الحارث بن عمرو الكندى ، من أهل نجد من شعراء الطبقة الأولى ، وهو اشهر شعراء الجاهلية ؛ يقول مؤرخو الأدب عنه (أنه أول من وقف واستوقف وبكا واستبكى) وذلك اشارة الى قوله :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل

. . . . . . الخ

كان أبوه ملكا على قبيلة بنى أسد ، ثم ثاروا عليه فقتلوه ، ولما بلغ امرأ القيس نبأ قتل أبيه قال : « اليوم خمر وغدا أمر » .

وقد كانت حياة امرىء القيس شطرين . الشطر الأول قبل مقتل أبيه وكان فترة لهو وتفلت واستمتاع بالخمر والنساء ، والشطر الثانى بعد مقتل أبيه ، وكان فترة أسفار واعداد للثأر ، ومحاولة لاسترداد الملك المسلوب ، والانتقام من بنى أسد قتلة أبيه .

فلقد كانت حادثة مقتل أبيه حدا فاصلا بين حياة لاهية ماجنة ، مسرفة فى اللهو والمجون ، وحياة جادة حاول فيها الأخذ بثار أبيه ورجع سلطان كندة على بنى أسد ، لكن محاولاته باءت بالفشل ، فلم يحصد غير الحزن والشقاء ، (وكأنه كان يحس ما ينتظره حين قال :

كأنى لم أركب جوادا للذة
ولم أتبطن كاعبا ذات خلخال
ولم أسبأ الزق الروى ولم أقل
لخيلى كرى كرة بعد اجفال) (٢)

(٢) انظر : د. شوقى ضيف . العصر الجاهلى ص ٢٥٨ .

أما شعره الذى أعده من رثاء النفس فمنه هذه الأبيات :

أرانا موضعين لأمر غيب ونسحر بالطعام وبالشراب

عصافير وذبان ودود وأجرأ من مجلحة الذئاب(٣)

وكل مكارم الأخلاق صارت اليه همتى وبه اكتسابى

فبعض اللوم عاذلتى فانى ستكفينى التجارب وانتسابى

الى عرق الثرى وشجت عروقى

وهذا الموت يسلبنى شبابى(٤)

ونفسى سوف يسلبها وجرمى فيلحقنى وشيكا بالتراب(٥)

الم انض المطى بكل خرق

أمق الطول لماع السراب(٦)

وأركب فى اللهام المجر حتى أنال مآكل القحم الرغاب(٧)

وقد طوفت فى الآفاق حتى

رضيت من الغنيمة بالاياب

أبعد الحارث الملك ابن عمرو

وبعد الخير حجر ذى القباب(٨)

---

(٣) مجلحة الذئاب : المصممة التى لا ترجع عما تريد .
(٤) وشجت : اشتبكت واتصلت ويشير بعرق الثرى الى آبائه الذين ماتوا
(٥) جرمى : جسمى .
(٦) أنض المطى : أهز لها بطول الرحلة . الخرق : الفلاة : أمق الطول : واسع الطول .
(٧) اللهام : الجيش الكثيف . المجر : الكثير . المآكل : الغنائم . القحم : جمع قحمة من الإقتحام ، والمراد : التزاحم فى شدة . الرغاب : الواسعة .
(٨) القباب : الخيام الكثيرة .

أرجى من صروف الدهر لينا
ولم تتغفل عن الصم الهضاب(٩)

واعلم اننى عما قليل سانشب فى شبا ظفر وناب(١٠)

كما لاقى أبى حجر وجدى ولا انسى قتيلا بالكلاب(١١)

ان الشاعر فى هذه الأبيات فى حالة تأمل لما يصير اليه الناس ، فالكل يكدح الى الموت كدحا ، ويسرع اليه اسراعا ، لكن الانشغال بالطعام وبالشراب يلهى الناس عما ينتظرهم ، ويذهلهم عن مصيرهم .

ان التجارب التى عاشها الشاعر فى الشطر الثانى من حياته هى التى بصرته بتلك الحقيقة ، وأيقظت فى نفسه تلك المشاعر .

انه ما يزال يذكر مكارمه وعلو همته وتجاربه وشرف نسبه لكن ذلك كله لن يغنى عنه شيئا أمام هذا المصير المرتقب ، الذى سبقه اليه آباؤه وأجداده ، فالموت مدركه لا محالة ، والتراب مثواه الذى لا مفر منه .

وعندما يصل الشاعر الى هذا الحد فى استحضار مصيره وتخيل قبره ، يحاول التعزى بتذكر بعض ما كان فى حياته من مواقف ، ويتعجب من تبدل حاله من قوة وشجاعة واقدام وبطولة الى موت وشيك وفناء قريب . ألم يكن رحالة ذا أسفار طويلة يجوب فيها الصحراء الواسعة الطويلة العريضة المخوفة المهلكة للابل ؟! ألم يكن محاربا شجاعا يقود الجيش الكثيف ؟! ألم يكن جريئا مقداما يستحوذ على غنائم الأعداد ويسلبهم ما بايديهم ؟!

---

(٩) الصم : المصمتة الصلبة . الهضاب : الجبال .
(١٠) شباكل شيء : حده . أنشب : أعلق .
(١١) قتيل موقعة الكلاب : هو شرحبيل عم امرىء القيس .

لكن تعجب الشاعر لا يلبث أن يزول ، فها هو ذا يرضى من الغنيمة بالإياب ويقبل راضيا المصير الذى ينتظره ، وهل يملك شيئا غير ذلك ؟! انه المصير الذى لم يستطع أجداده الملوك الفرار منه ٠ ٠ ٠ أبعد أولئك السادة ينتظر الشاعر خلودا فى الحياة ؟! وأنى له أن يفلت من قبضة الفناء ، والهضاب الصم والجبال الصلبة تفنى ؟!

ويرى الشاعر موته قريبا ، ونهايته وشيكة ، ويتذكر أباه وجده وعمه الذين سبقوه الى الموت أو سبقه الموت اليهم :

واعلم اننى عما قليل سانشب فى شبا ظفر وناب

كما لاقى ابى حجر وجدى ولا انسى قتيلا بالكلاب

ولقد وافت الشاعر منيته وهو غريب عن دياره ، بعد انصرافه من القسطنطينية فى تلك الرحلة التى قصد بها قيصر الروم ليطلب منه المعاونة على استرداد ملك كندة ، ولقد قيل أن رجلا من بنى أسد يقال له (الطماح) وشى بامرىء القيس عند القيصر ، وأخبره أنه كان يواصل ابنته ، وأن له فيها أشعارا تفضحها وتفضح أباها ، فأراد القيصر الانتقام من الشاعر فأرسل اليه بحلة وشى مسمومة منسوجة بالذهب ، فلما لبسها أسرع فيه السم وسقط جلده ، فقال :

لقد طمح الطماح من بعد أرضه

ليلبسنى مما يلبس أبؤسا

فلو انها نفس تموت سوية

ولكنها نفس تساقط أنفسا

واحتضر ببلدة من بلاد الروم تسمى أنقره ، فكانت أرضها محل نهايته ونهاية قصته كما قال :

رب خطبة مسحنفرة وطعنة مثعنجرة

وجفنـــــة متحـــيرة　　حلـت بـأرض انقـــرة

ورأى قبر امـرأة فى ذلك الموطن ، أخبر أنهـا ماتت غريبـة مثـله فدفنت فى سفح جبل يقال له عسيب ، فقال :

اجـارتنـا ان المـزار قـريب　　وانى مقيـم مـا اقـام عسـيب

اجـارتنا انا غـريبان ها هنـا　　وكل غـريب للغـريب نسـيب

اجارتنا ما فـات ليس يئـوب　　ومـا هـو آت فى الزمـان قـريب

وليس غـريبا من تناءت دياره　　ولـكن مـن واراه التراب غـريب

وهكذا نرى امـرأ القيس فى ذلك الشعر الرقيق منهزما أمام الموت ، يلقـاه غريبا ، بعيـدا عن دياره بعد أن مـلأ الدنيـا صخبا بمغـامراته وأسـفاره وأشعاره ، وها هو ذا يلتمس نسـبا بامـرأة ماتت غريبة مثله ، وهو يعـلم أن ذلك النسب لا ينفـع ولا يشـفع ، ثم مات الشـاعر فدفن الى جنب تلك المـرأة ، فقبره هنـاك .

* * *

٢ ـ بشر بن ابى خازم

احد شعراء بنى أسد وفرسانها المقدمين ، يحفل شعره بالحماسة والفخر ، ويكثر فيه الحديث عن أيام بنى أسد وحروبها التى انتصرت فيها كما أن له شعرا فى المديح والهجاء والوصف والغزل والرثاء .

وله ديوان شعر مطبوع ، وقد عده ابن اسلام فى الطبقة الثانية من الفحول(١٢) .

كان بشر كثير الغزو والاغارة ، وفى احدى غزواته أصيب ابنته عميرة التى تخيلها ، منتظرة عودته ، مشتاقة الى أبيها

ابنته عميرة التى تخيلها ، منتظرة عودته ، مشوقة الى أبيها

وما يحمله معه من غنائم ، فهى تسال عنه زملاءه الذين كانوا معه فى الغزو ، وتبحث عنه بينهم .

يرسم الشاعر هذه الصورة لفتاته التى اعتادت أن يعود أبوها من كل غزواته سالما غانما ، لكنه يخبرها أنه لن يعود هذه المرة ، فيقول :

اسائلة عميرة عن ابيها ... خلال الجيش تعترف الركابا

تؤمل أن أؤب لها بنهب ... ولم تعلم بأن السهم صابا

فرجى الخير وانتظرى ايابى ... اذا ما القارظ العنزى آبا

والقارظ العنزى رجل من عنزة . قالوا انه خرج يطلب القرظ فهلك ولم يعد ، وبه يضرب المثل فى امتداد الغيبة واليأس من العودة ، وبشر بهذا البيت ، يريد أن يقطع رجاء ابنته فى عودته

---

(١٢) راجع بشر بن أبى خازم حياته وشعره ـ رسالة ماجستير مخطوطة ـ بكلية اللغة العربية ـ حسن أحمد عبد الحميد عبد السلام .

وأن يصرفها عن الأمل والانتظار . لكن الطريقة التى عبر بهـا الشـاعر عن هذا المعنى توحى بالحسرة والحـزن الشـديدين ، وتدل على ما كان يعـانيه الشـاعر فى ذلك الموقف الرهيب ، وهو يموت جـريحا ويتذكـر ابنته التي تنتظره وترجو عودته . ففى البيت الأخير تعبيـر عن الأمـل المرجو بالنجاة والعودة يعقبه تعبير عن اليأس منهما ، طمع ثم يأس .. وكأن الشاعر يسخر من أمل ابنته فى عودته . اذ يربط عـودته بعـودة القارظ العنزى وما دامت عـودة القارظ مستحيلة فأن عـودة الشـاعر مستحيلة كذلك .

فرجي الخيـر وانتظـرى ايابى اذا مـا القـــارظ العنـــزى آبا

ثم يسـوق الشـاعر الى ابنتـه خبر اصـابته بسهم قاتل ، رماه به فتى من الأعـداء يشتعل حماسـا وفتـوة ، ولم يرد الشـاعر أن يترك ريبـة فى نفس ابنتـه من ذلك الأمـر ، فسـاق لها الخبـر مؤكدا عن طـريق استخدام الجملة الاسمية المؤكدة بأن ، وعن طـريق التكـرار ، فقـال :

فـان أبـاك قـد لاقى غـلاما مـن الأبنـــاء يلتهـب التهـــابا

وان الـوائلى أصـــاب قلبى بســهم لـم يـكن يكـسى لغـــابا

ثم يعـين الشـاعر لابنتـه مكانه الذى سيقبر فيـه ، لعـل أحـدا يسـأل عنـه ، أو لعـل أحـدا يريد أن يزوره عند مثواه الأخير .

فمـن يـك سـائلا عـن بيـت بشـــر
فـــان لـه بجنـب الـــرده بـــابا
رهــين بـلي وكـلٍ فـتى ســيبلى
فـأذري الدمـع وانتحـبي انتحـابا

ثــوى فى ملحــد لابــد منــه كــفى بالمــوت نــأيا واغتــرابا

ويرى الشــاعر مصــيره ويدرك انه قد أصبح رهــين البلى والفناء ، فيطلب من ابنتــه أن تبكيه وتذرى الدمــع وتنتحب من أجــله ، ولعــله أراد أن يتعــزى ويتصــبر بذلك عن مصــيره الذى آل اليــه • نائيــا عن داره وأهــله وابنتــه ، غــريبا فى أرض بعيــدة غــربة ليس لها انقطــاع ولا منهــا رجــوع •

كفــى بالمــوت نــأيا واغتــرابا !

* * *

٣ — عبيد بن الأبرص

هو من شعراء الجاهلية القدماء ، وهو من بني أسد ، كان معاصرا لامرىء القيس ، وكان من المعمرين ، وقد قتله المنذر بن امرىء القيس اللخمى بن ماء السماء فى يوم بؤسه ، فقد كان لهذا الملك يوم بؤس ويوم نعيم ، وكان يقتل أول من رأى فى يوم بؤسه ، فخرج فى يوم بؤسه فلقى عبيدا ، فقال له : هلا كان المذبوح غيرك يا عبيد ؟! فقال : (اتتك بحائن رجلاه) فقال له : (انشدنا يا عبيد) ، فقال (حال الجريض دون القريض ، وبلغ الحزام الطبيين) فقال الملك انشدنى فقال : (المنايا على الحوايا) فقال بعض القوم : (انشد الملك هبلتك أمك) ، فقال : (وما قول قائل مقتول ؟) وقال آخر : (ما أشد جزعك بالموت) فقال : (لا يرحلن رحلك من ليس معك) فقال الملك قد أمللتنى فارحنى قبل أن آمر بك فقال عبيد : (من عز بز) فقال الملك : أنشدنا قولك : أقفر من أهله ملحوب فانشده :

اقفر من أهله عبيد فاليوم لا يبدى ولا يعيد

وقد صار هذا البيت مثلا فى الهلاك . ثم قال الملك لعبيد : لابد من الموت فاختر ان شئت من الأكحل ، أو من الأبجل ، أو من الوريد ، فقال عبيد : ثلاث خصال كسحابات عاد ، واردها شر وراد ، وحاديها شر حاد ، ومعادها شر معاد ، ولا خير فيها لمرتاد ، وعند قتله قال :

وخيرنى ذو البؤس فى يوم بؤسه

خصالا ارى في كلها الموت قد برق

كما خيرت عاد من الدهر مرة
سحائب ما فيها لذى خيرة انق
سحائب ريح لم توكل ببلدة
فتتركها الا كما ليلة الطلق(١٣)

* * *

(١٣) راجع خزانة الأدب للبغدادي ، ت : هارون ج ٢ ص ٢١٧ ـ الخانجي .

٤ ـ عبد يغوث الحارثى

هو عبد يغوث بن صلاءة ، من بنى الحارث بن كعب من كهلان ، من اليمن (عرب الجنوب) كان رجلا عظيم الجسم جميلا ، وكان كريما وفارسا معدودا وسيدا فى قومه ، قاد قومه يوم الكلاب الثانى على بنى تميم وأحلافهم ، فقتل وأسر من قومه عدد كبير ، ثم وقع هو فى الأسر .

وأراد عبد يغوث أن يفتدى نفسه بمائة من الابل ، ولكن بنى من بنى الحارث فارس معدود ، فلابد من قتل عبد يغوث بالنعمان فكان مقتل عبد يغوث فى عام ٦١٣ م قبل الهجرة بنحو عشر سنين .

ولما عزم بنو اليتم على مقتل عبد يغوث شدوا لسانه بنسعة مخافة أن يهجوهم ، فقال : انكم قاتلى ولابد ، فدعونى أذم اصحابى وأنوح على نفسى ، فقالوا : انك شاعر ونخاف أن تهجونا ، فعقد لهم الا يفعل . فاطلقوا لسانه ، وأمهلوه حتى قال قصيدته التى رثى فيها نفسه(١٤) ، وبدأها بدفع الملامة والذم عن نفسه ، ونفى تهمة التقصير عنها ، وقرر ان اقدامه وجراته هما سبب وقوعه فى الأسر ، ولو كان جبانا لفر على فرسه السريعة ونجا بنفسه ، وهو اذ يقرر ذلك يلوم قومه ويعتب عليهم . لكنه فى الوقت نفسه يعترف بانه لا خير فى اللوم له ولا لهم ، وينصرف الى نفسه يصور معاناتها الرهيبة فى الأسر ومواجهة الموت ، يقول عبد يغوث :

---

(١٤) راجع : قصيدة عبد يغوث وقصة أسره فى العقد الفريد جـ ٥ ص ٢٢٨ ط دار الكتاب العربي ـ بيروت .

الا لا تلومانى كفى اللوم ما بيا
فما لكما فى اللوم خير ولا ليا (١٥)
الم تعلما ان الملامة نفعها
قليل ، وما لومى أخى من شماليا (١٦)
فيا راكبا اما عرضت فبلغن
نداماى من نجران أن لا تلاقيا (١٧)
جزى الله قومى بالكلاب ملامة
صريحهم والآخرين المواليا
ولو شئت نجتنى من القوم نهدة
ترى خلفها الحو الجياد تواليا (١٨)
ولكننى احمى ذمار ابيكم
وكاد الرماح يختطفن المحاميا (١٩)

ثم يصور الشاعر فعل آسريه به ، ويحكى ما دار بينه وبينهم من حديث ، فقد توسل اليهم ان لا يربطوا لسانه ، وطلب منهم أن يخلوا سبيله ، بعد ان ملكوه واصبح أسيرا لديهم ، ويؤكد لهم أنه برىء من دم صاحبهم النعمان بن الحسحاس وانه لم يقتله ، ويعرض

---

(١٥) فى شرح المفضليات القسم الثانى ص ٦٠٧ قصيدة عبد يغوث وشرحها ، ومنه نقلت هذا الشرح . يقول : كفى اللوم ما أنا فيه ، فلا تحتاجون الى لومى ، مع ما ترون من اسارى وجهدى .

(١٦) شمال ، بالكسر : بمعنى الخلق . والجمع شمائل .

(١٧) عرضت : تعرضت وظهرت ، وقيل معناه : بلغت العروض وهى جبال نجد . وهؤلاء كانوا نداماه هناك ، فذكرهم عند موته وحن اليهم .

(١٨) النهدة : المرتفعة الخلق ، وكل ما ارتفع يقال له : قد نهد والحواء من الخيل التى تضرب الى خضرة . وتواليا : أى تتلوها .

(١٩) الذمار : ما يجب منعه وحفظه ، من منع جار ، أو طلب ثار ، ويختطفن : يختلسن .

عليهم أن يأخذوا مـالا فدية له ، لكنهم رفضوا . يقول عبد يغوث :

اقـول وقد شـدوا لسـانى بنسـعة
أمعشـر تيـم اطلقـوا عن لسـانيا

أمعشـر تيـم قـد ملكـتم فاسـجحوا
فـان اخـاكم لم يكن مـن بوائيـا

فـان تقتـلونى تقتـلوا بى سـيدا
وان تطلقـونى تحـربونى بماليـا(٢٠)

وتكـرار النداء فى قـوله (أمعشر تيّم) فى الأبيات السـابقة يدل على تلهف الشـاعر على أن يستجيب آسروه لطلبـه ، وأن يسمعوا لقوله ، وعلى تعلـق الشـاعر بالأمـل فى أن يعفـوا عنـه ورجـائه النجـاة وحرصـه عليهـا .

ان الشـاعر فى هذا الوقت العصيب يدرك ان خطوات معدودة بينه وبين المـوت وهو فى تعلقـه بالحيـاة وحرصـه عليهـا لا يملك غيـر أن يستعيد ذكـرياته الحـلوة يسـلى بها نفسـه ، ويتسـاءل متعجبـا : أحقـا حانت لحظـة الوداع ، فلن يسـمع بعد أناشيد الرعـاة ؟ ويا لهـا من مـرارة يحسها ذلك الشـاعر الفـارس عنـدما تسـخر منـه امـرأة عبشمية ، وتعيره بالأسر .

فقد قيـل ان الذى أسر عبد يغـوث هو عصمة بن أبيـر التيمى وانه

---

(٢٠) أقول وقد شدوا .. الخ هذا مثل واللسان لا يشد بنسعة ، وانما أراد افعلوا خيرا ينطق لسانى بشكركم ، فانكم ما لم تفعلوا فلسانى مشدود لا أقدر على مدحكم ، وقال أبو عبيدة : كانوا قد شـدوا لسانه مخافة هجائه ، فجعل لهم الا يهجوهم ، فاطلقوا لسانه . أسجحوا : سهلوا ويسروا فى أمرى . يقول : لم أقتـل صاحبكم ولست له بواء . أى لم يكن أخوكم نظيرا لى فأكون بواء له .

خبأه عند رجل يسمى الأهتم ، فوضعه الأخير عند امرأته العبشمية ؛ حتى أخذه بنو الحسحاس ليقتلوه ٠

وروى أن امرأة الأهتم أعجبها جمال عبد يغوث وكمال خلقه ، وكان عصمة الذى أسره غلاما نحيفا ، فقالت المرأة لعبد يغوث من أنت ؟ فقال : أنا سيد القوم ٠ فضحكت وقالت : قبحك الله سيد قوم حين أسرك مثل هذا !(٢١) ٠

يصور عبد يغوث كل ذلك فيقول :

أحقا عباد الله أن لست سامعا
نشيد الرعاء المعزبين المتاليا(٢٢)

وتضحك منى شيخة عبشمية
كأن لم ترى قبلى أسيرا يمانيا

ويذكر الشاعر فى خضم محنته زوجته مليكة ، وكأن سخرية العبشمية منه جعلته يخشى أن يهون فى عين امرأته فأراد أن يذكرها بما تعلمه عنه من شجاعة وبطولة ، ثم يتذكر الشاعر طرفا من مآثره السالفة ، يتعزى بذلك عما وقع له وحل به ، فيقول :

وقد علمت عرسى مليكة أننى
انا الليث معدوا عليه وعاديا
واعقر للشرب الكرام مطيتى
واصرع بين القينتين ردائيا

---

(٢١) أنظر العقد الفريد : ج ٥ ص ٢٢٨ ٠
(٢٢) المعزب : المتنحى ٠ المتالى ؛ قد نتج بعضها وبقى بعض ٠

وكنت اذا ما الخيل شممها القنا
لبيقا بتصريف القناة بنانيا
وعادية سوم الجراد وزعتها
برمحى وقد إنحوا الى العواليا
كأنى لم أركب جوادا وليم اقل
لخيلى كرى نفسي عن رجاليا
ولم اسبا الزق الروى ولم اقل
لأيسار صدق اعظموا ضوء ناريا(٢٣)

ذلك هو الماضى الذى يفخر به الشاعر ، ويتعزى به عما حدث له ، وحسبه أن مليكة تعرف شيمه وأخلاقه ، ولابد أنها ستعذره وتدرك أن أسره كان بسبب جرأته واقدامه ، ويشهد له ماضيه ، فهو الشجاع الكريم ، كان نحارا للجزور ، يعقر لأصحابه وندماه مطيته ، ويشق بين القينتين فى مجالس اللهو والطرب رداءه ، وكان صاحب رحلات وأسفار يقطع القفار الموحشة وينزل الأماكن المخوفة ، ويمضى فى الأماكن التى لا يجرؤ أحد على السير فيها ، وكان فى الحروب فارسا لا يشق له غبار ، خبيرا بتصريف القناة ، قادرا على انقاذ زملائه من الشدائد ، وتنفيس كرب الحرب عنهم .

وعبد يغوث وهو يذكر تلك المآثر يعبر بصيغة الماضى . لكنه يعود الى حاضره ، فها هو ذا يواجه الموت وتوشك حياته على

---

(٢٣) الشرب : جمع شارب . كصاحب وصحب . السباء : اشتراء الخمر للشرب لا للبيع . والأيسار : الذين يضربون القداح .

نهايتها ، فيشعر بأن كل ما كان من مجـد وبطولة ذهب هبـاء فلم يشفع له منـه شيء ٠ ولم يغن عنه ماضيه في محنـة أسره وقتـله شـيئا ، ذلك ما عبر عنـه فى نهاية قصيدته اذ يقول :

كانى لـم اركـب جـوادا ولـم اقـــل
لخيـــلى كـــرى نفسى عــن رجـــاليــا

ولـم أسـبأ الــزق الـروى ولـم اقـــل
لايســـار صـــدق اعظمـوا ضـوء ناريا

* * *

٥ ـ عمرو بن قميئة

هو عمرو بن قميئة بن ذريح بن سعد بن مالك ، أحد بنى ضبيعة ابن قيس بن ثعلبة من بنى بكر بن وائل .

مات ابوه وهو صغير ، فكفله عمه مرثد بن سعد ، وكان عمرو جميلا فافتتنت به زوجة عمه ، لكنه أبى عليها ، فدبرت له مكيدة انتقاما منه ، وزعمت لزوجها ان عمرا ابتغاها ، وخاف عمرو سطوة عمه ، فهرب الى الحيرة ، ولجأ الى المنذر بن ماء السماء ، وقال شعراً مدح فيه عمه ، وتبرأ فيه مما ألصقته به زوجه ، فلما رضى عنه عمه عاد الى قومه .

وخدم عمرو بن قميئة الملك حجر بن الحارث والد امرىء القيس ، واصطحبه امرؤ القيس فى رحلته الى بلاد الروم ، وهو المعنى بقول امرىء القيس :

بكى صاحبى لما رأى الدرب دونه
وأيقن أنا لاحقان بقيصرا

وكان عمرو أثناء هذه الرحلة طاعنا فى السن ، ويبدو أن بكاءه كان اشفاقا على نفسه الضعيفة ، وخوفا من الموت فى الغربة .

وقد توفى أثناء هذه الرحلة ، وسمته العرب عمرا الضائع وكانت وفاته قبل الاسلام بنحو سبعين سنة (٢٤) .

وقد وصف عمرو فعل الدهر به ، ورميه اياه بالمصائب ، وعجزه وذهاب قوته بسبب كبر سنه ، وأخبر أن الناس يأخذهم

---

(٢٤) راجع تاريخ الأدب العربى للدكتور عمر فروخ ج ١ ص ١١٤ .
والشعر والشعراء ص ٢٣٨ .

العجب عندما يرونه بهذا الوصف ، ويتساءلون فى دهشة : ألم تكن جليدا قويا ! •

وفى حسرة وتعجب من انصرام الأيام وانقضاء الأعوام يصف عمرو بن قميئة ما فعلته به أحداث الدهر ، وفى دقة وبراعة يصور هيئته عندما يروم القيام ، فيتسند على عصاه مرة وعلى راحتيه أخرى ، ويقوم فيتعثر فى محاولاته حتى ينهض بعد ثلاث مرات •

يقول عمرو بن قميئة (٢٥) :

رمتنى بنات الدهر من حيث لا ارى
فكيف بمن يرمى وليس برام
وأهلكنى تاميل ما لست مدركا
وتاميل عام بعد ذاك وعام
واذا ما رآنى الناس قالوا : الم تكن
جليدا حديث السن غير كهام
فلو اننى أرمى بنبل رميتها
ولكننى أرمى بغير سهام
على الراحتين مرة وعلى العصا
أنوء ثلاثا بعدهن قيامى
كانى وقد جاوزت تسعين حجة
خلعت بها عنى عذار لجامى

---

(٢٥) راجع تاريخ الأدب العربى - فروح ج ١ ص ١١٤ • ويعنى بقوله تاميل مالست مدركا الخلود • والكهام : السيف الكليل الذى لايقطع ، والبيت الأخير معناه أن العمر انقضى بسرعة وكانه مقدار ما يخلع الرجل اللجام من رأس دابته •

ويبدو أن كل المعمرين تنتابهم تلك المشاعر المتناقضة يسأمون الحياة ، ويستقلون مدتها فى آن ٠

كما يقول أكثم بن صيفى حكيم العرب وخطيبهم فى الجاهلية :

وان امرءا قد عاش تسعين حجة
الى مائة لم يسام العيش جاهل
مضت مئتان غير ست وأربع
وذلك من عد الليالى قلائل

لكن الموت خير من حياة المرض والعجز على أية حال ، وأى قيمة لرجل مله أهله وبنوه ، وأصبح قعيد البيت يقضى الأمر حين يغيب ولا يستشار وهو حاضر ، ولا يجلس معه الا أحفاده الصغار يلاعبهم ويلاعبونه ٠ عندئذ يكون الموت أفضل من الحياة على نحو ما يلقانا فى قول المستوغر (٢٦) :

اذا ما المرء صم فلم يناجى
وأودى سمعه الا ندايا
ولاعب بالعشى بنى بنيه — كفعل الهر يحترش العظايا
يلاعبهم وودوا لو سقوه — من الذيفان مترعة ملايا
فلا ذاق النعيم ولا شرابا — ولا يسقى من المرض الشفايا
فذاك الهم ليس له دواء — سوى الموت المنطق بالمنايا

وكما فى قول زهير بن جناب الكلبى (٢٧) :

والموت خير للفتى — وليهلكن وبه بقية
من أن يرى الشيخ البجا — ل وقد يهادى بالعشية

---

(٢٦) طبقات فحول الشعراء ص ٣٤ ٠
(٢٧) المصدر نفسه ص ٣٧ ٠

٦ ـ الأسود بن يعفر

هو الأسود بن يعفر بن عبد الأسود بن جندل بن نهشل بن دارم من بنى تميم ، كان أحد شعراء العصر الجاهلى وفرسانه ، أسر امرأة من بنى نهد فى غارة ، وتزوجها ، كان كثير الترحال والأسفار (٢٨) ، سمى الأسود ذا الآثار لأنه ما هجا أحدا الا ترك فيه أثرا من هجائه ، وهو مجيد غير مكثر ، اختار المفضل الضبى له قصيدتين ، وترجم له ، وفى هامش شرح المفضليات للتبريزى قال : « كان الأسود شاعرا فحلا متقدما فصيحا من شعراء الجاهلية يكثر التنقل فى العرب ويجاورهم ، فيذمّ ، ويحمد ، وله فى ذلك أشعار » (٢٩) .

وقد كبر الأسود ، وكف بصره ، وتوفى سنة ٥٨٥ م تقريبا وقصيدته التى أثبتها هنا قال عنها ابن اسلام :

« وله واحدة طويلة رائعة لاحقة بأجود الشعر ، لو كان شفعها بمثلها قدمناه على مرتبته » (٣٠) وهى التى رثا فيها نفسه ، واشتكى فى أولها الهم والسهد اللذين لازماه فمنعاه النوم ، وبين أن الحوادث قد عمت عليه أمره ، وسدت عليه سبله ، فاصبح لا يهتدى الى غاية ، وهذه هى القصيدة وشرحها :

١ ـ نام الخلى وما احس رقادى
والهم محتضر لدى وسادى

الخلى : الخالى من الهموم ، وقوله ما أحس : أى لا أجد منه أثرا . محتضر : حاضر .

---

(٢٨) انظر : فروخ ، تاريخ الأدب العربى ج ١ ص ١٥٨ .
(٢٩) شرح المفضليات : القسم الثانى ص ٧٩٠ .
(٣٠) طبقات فحول الشعراء : ص ١٤٧ ، ط شاكر .

٢ ـ من غير ما سقم ولكن شفني
هم اراه قد أصاب فؤادي

يقول : سهرت من غير علة ، ومعني شفني : أذابني : وذلك لضعفه وكبره وعماه .

٣ ـ ومن الحوادث لا ابالك انني
ضربت على الأرض بالأسداد

الأسداد : جمع سد . أى عمى على أمرى ، فصرت لا أتجه جهة . فكأن المسالك مسدودة على .

٤ ـ لا أهتدى فيها لموضع تلعة
بين العراق وبين ارض مراد

ثم يتعزى الشاعر بذكر من سبقوه ، وقد كانوا أشد منه قوة وأكثر جمعا ، وينتظر أن يكون سبيلهم سبيله ومصيرهم مصيره ، وهو الموت الذى لا يدفعه دافع .

لقد هلك من قبله ذو الأعواد عزيز قومه الذى عمر طويلا ، ومات آل محرق وآل اياد ، وأهل الخورنق والسدير وبارق ، وفنى كعب بن مامة مضرب المثل فى الجود ، وأبو دؤاد الأيادى الشاعر المعروف . لقد هلكوا جميعا ولم يمنعهم من الموت مانع .

٥ ـ ولقد علمت سوى الذى نباتنى
أن السبيل سبيل ذى الأعواد

قال أبو عبيدة : ذو الأعواد : جد أكثم بن صيفى ... كان معمرا ، وكان من أعز أهل زمانه ، فاتخذت له قبه على سرير ، فلم يلقه خائف إلا أمن ، ولا ذليل الا عز ، ولا جائع الا شبع . فيقول : لو اغفل

الموت احدا لاغفل ذا الاعواد ، واذا كان مصيره الى الفنـاء فمن دونه مثـــله ٠

٦ ـ ان المنيـــة والحتـــوف كلاهمـا
يـوفى المخــارم يرقبـــان ســوادى

يوفى : يعلو وهو مــردود على لفظ (كلا) فافــرد ٠ والمخــارم : جمــع مخــرم وهو منقطــع أنف الجبل ، والغلظ ٠ ويرقبان بالتثنية ـ على المنيـة والحتوف ٠ والسواد : الشخص ٠ يريد أن المنية والحتوف ترقبـــه ٠

٧ ـ لـن يرضــيا فى وفـاء رهينـــة
مـن دون نفـسى طـــار فى وتـلادى

الطـارف : ما استفاده الرجل ٠ والتالد : ما ورثه عن الآباء ٠

والمعنى : أن المنية والحتوف لن يرضيا كل ما أملك فداء لنفسى ٠

٨ ـ مـاذا اؤمــل بعـد آل محـــرق
تــركــوا منـــازلهـم وبعـــد ايـــاد

٩ ـ اهــل الخـورنق والسـدير وبـارق
والقصـــــر ذى الشــرفات مـن سنداد

١٠ ـ ارضـــا تخيـرها لطيب مقامها
كعــب بـن مـــامة وابــن أم دؤاد

١١ ـ جـرت الرياح على محـل ديارهم
فـكانمـــا كـانوا عـلى ميعـــــاد

١٢ ـ ولقـد غنـوا فيهـا بانعم عيشـة
في ظـــل مـــلك ثـابت الاوتـــاد

غنوا : أقاموا ، يقال : غنينا بمكان كذا وكذا اذا اقاموا به ، والمغنى : المنزل .

١٣ ـ نزلوا بأنقرة بسيل عليهم
ماء الفرات يجيء من أطواد

الأطواد : جمع طود ، وهو الجبل .

١٤ ـ فاذا النعيم وكل ما يلهى به
يوما يصير الى بلى ونفاد

والمعنى : كانوا كذلك ، ففاجأتهم الأحداث بما حولهم وشغلهم عن ملاهيهم ، وانتهى جميعه الى البلى والزوال .

ويجد الشاعر فى أولئك وغيرهم ممن رماهم الدهر بسهامه ، وأذهب نعيمهم وقوتهم العبرة والسلوى ، فيقول :

١٥ ـ فى آل غرف لو بغيت لى الأسى
لوجدت فيهم أسوة نعداد

١٦ ـ ما بعد زيد فى فتاة فرقوا
قتلا ونفيا بعد حسن تآد

زيد : قبيلة . قال أبو عبيدة : كان المنذر بن ماء السماء خطب على رجل من اليمن من أصحابه امرأة من بنى زيد بن مالك بن حنظلة ، فأبوا أن يزوجوه ، فنفاهم من أرضه ودياره ، وفرقهم . وقوله : بعد حسن تآد : أى بعد تمكنهم .

١٧ ـ فتخيروا الأرض الفضاء لعزهم
ويزيد رافدهم على الرفاد

وذلك قبل أن يصابوا . والرفد : العطية .

ثم ينتقل الشاعر الى الحديث عن نفسه ، مخاطبا زوجه قائلا :

ان رأيتنى الآن قد شخت وكبرت سنى ، وذهب شبابى ، وضعفت قوتى ، وغير هيئتى ما حل بجسمي من وهن ، وما أصاب بصرى من نقص ، وتركت مرافقة الشبان ، وصرت منقادا لا حول لى ولا قوة ، فما يزال عندى بقية من ماض وبعض مال وقوة ، فانى أروح الى بيوت الخمارين ، مرجلا شعرى ، مستمتعا بما بقى من شبابى ومالى ، واذا كان ذلك حاضرى فانى اذكرك بما حفل به ماضى حياتى من لهو ومن جد ، فكم استمتعت بالخمر وبالنساء ، وكم سافرت وترحلت ، وركبت الخيل والنوق ، ورعيت الخصب ، واقتنصت الوحوش .

بهذا الماضى يسلى الشاعر نفسه ، ويرد تلوم زوجته ، فيقول :

١٨ ـ اما ترينى قد بليت وغاضنى
ما نيل من بصرى ومن أجلادى

١٩ ـ وعصيت أصحاب الصبابة والصبا
واطعت عاذلتى ولان قيادى

٢٠ ـ فلقد أروح على التجار مرجلا
مذلا بمالى لينا اجيادى

(المذل : كل من قلق بسره حتى يذيعه ، أو بمضجعه حتى يتحول عنه ، أو بماله حتى ينفقه) .

٢١ ـ ولقد لهوت وللشباب لذاذة
بسلافة مزجت بماء غواد

٢٢ ـ من خمر ذى نطف أغن منطق
وافى بها لدراهم الاسجاد

(ذى نطف ... الخ : بياع الخمر من العجم ، فى صوته غنة ، وفي وسطه منطقة ، اتي بالخمر ليبيعها بدراهم الأكاسرة . قال

الأصمعي : « دراهم الاسجاد كانت عليها صور يكفرون لها ويسجدون » .

٢٣ - يسعى بها ذو تومتين مشمر

قنات انامله من الفرصاد

التومتان : اللؤلؤتان . والجمع : توم . وقد عنى به ساقيا من المجوس ، ومعنى قنات : احمرت . شبه حمرة لون الشراب بحمرة الفرصاد وهو صبغ أحمر .

٢٤ - والبيض تمشي كالبدور وكالدمى

ونواعم يمشين بالإرفاد

وصف مجلس الشرب بأنه اختلط بهم نساء كالبدور حسنا ، وكالدمى وهى الصور ، والنواعم ذوات النعمة ، والأرفاد : جمع رفد ، وهى العطية . وانما جعلهن كذلك لأنهن كن يحملن خلع الندامى فيلقينها عليهم .

والبيض يرمين القلوب كانها

أدحى بين صريمة وجماد

قصد الى تشبيه النساء ببيض النعام .

٢٥ - ينطقن معروفا وهن نواعم

بيض الوجوه رقيقة الأكباد

٢٦ - ينطقن مخفوض الحديث تهامسا

فبلغن ما حاولن غير تناد

قال الأصمعى : « يبلغن من الرجال ما أردن بأيسر سعى » .

ولما فرغ من ذكر ما تمتع به في ماضيه من لهو بالنساء وسكر ، مما يدل علي أنه كان فتي غنيا مرفها ، ذكر ما حفل به

شبابه الذاهب وماضيه المنصرم من شجاعة واقدام ومنعة مكنته من نزول المراعى الخصبة التى تجرى بها المياه غير خائف ولا مترقب ، واتخاذ أماكن فى حماه لا ينازعه فيها أحد ٠

ولقد كان يستخدم فى أسفاره ورحلاته فرسا جيدا طويل القوائم ، لا يفوته الوحش ، أو ناقة شديدة سريعة ٠

ويبدو أن تذكر الشاعر للهوه ومتعته لم يكن كافيا ليتعزى به ويتصبر ، فجمع اليه الحديث عن الشجاعة والعز والمنعة ، محاولا أن يتسلى عما أصابه من ضعف فى قوته وبصره بعد أن أدركه الكبر ، فقال :

٢٧ - ولقد غدوت لعازب متناذر
أحوى المذانب مؤنق الرواد

أراد بالعازب كلأ ، والعازب : المتنحى ، وقوله : متناذر : أى يتناذره الناس للخوف منه ، والمذانب : جمع مذنب ، وهو مسيل ماء صغير من الحرة الى الوادى ، والأحوى : الذى اشتدت خضرته حتى يضرب الى السواد ٠ والمؤنق : المعجت ٠ والرواد : جمع رائد ، وهو الذى يرود البلاد فى طلب المرعى ٠

٢٨ - جادت سواريه وآزر نبته
نفأ من الصفراء والزباد

الصفراء والزباد : ضربان من العشب ، والنفأ : نبت ٠

٢٩ - بالجو فالأمرات حول مغامر
فبضارج فقصيمة الطراد

هذه مواضع مما اتخذه حمى تنقل فيه لعزه ٠

٣٠ - بمشمر عتد جهيز شده
قيد الأوابد والرهان جواد

المشمر : الفرس الطويل القوائم . والعتد : الذى عنده عدة للجرى ، والجهيز : الكثير . والأوابد : الوحش .

٣١ - يشوى لنا الوحد المدل بحضره
بشريج بين الشد والايراد

الوحد : الثور أو الحمار الذى ليس مثله شيء من جنسه ، قد فاق قرناءه أى هذا الفرس من شدة عدوه يلحق أشد الوحش عدوا ، وقوله : يشوى لنا كأنه لما صاده هو شواه . والمدل : المفتخر المباهى . والحضر : العدو . والشريج : الخليط .

ولما وصف فرسه انتقل الى وصف ناقته ، فقال :

٣٢ - ولقد تلوت الظاعنين بجسرة
أجد مهاجر السقاب جماد

الأجد : المؤنقة الخلق . والسقاب : جمع سقب ، وهو ولد الناقة ساعة تلقيه اذا كان ذكرا . والأنثى حائل . وقوله : مهاجرة السقاب : أى ليست مما يلقح ، فهو أصلب لها ، والجماد القوية .

٣٣ - عيرانة سد الربيع خصاصها
ما يستبين بها مقيل قراد

العيرانة : التى تشبه بالعير فى صلابتها وسرعتها . سد الربيع خصاصها : أسمنها بعد الهزال فامتلأت سمنا ، وأصل الخصاص : الفرج بين الشيء .

وبعد هذا التفصيل فى ما حفل به ماضى الشاعر من مآثر ، يعود الشاعر الى حاضره الذى فقد فيه كل شيء بعد أن شاخ وهرم ، فلا يجد شيئا مما كان له ، فالفناء طبيعة الأشياء ، ومن شأن الدهر اتباع الصلاح بالفساد ، والخير بالشر ..

٣٤ ـ فـاذا ونلك لا مهــاه لذكـــره

والدهــر يعقب صــالحا بفســاد

وهكذا ينهى الشاعر قصـيدته بذكـر السبب والعـلة فيما صـوره في بدايتها من هم مقيم وحزن ملازم وأرق دائم .

* * *

٧ ـ يزيد بن خذاق

يزيد بن خذاق شاعر جاهلى قديم من شعراء عبد القيس ، و (خذاق) فعال من قولهم : خذق الطائر وخزق ، اذا رمى بذرقه ، وكان يزيد هجا النعمان بن المنذر ، فبعث اليهم النعمان كتيبة يقال لها (دوسر) فاستباحتهم ، وكان له أخ شاعر اسمه سويد ، وليزيد شعر فى الحماسة والفخر والهجاء .

وقصيدته فى رثاء النفس وردت فى المفضليات ، وتنسب للمزق العبدى أيضا ، لكن نسبتها الى يزيد أقوى بدليل أن المفضل يثبتها صراحة له ويضيف « وتروى للمزق »(٣١) ـ كما أن ابن قتيبة نسبها اليه فى الشعر والشعراء وقال : « قال أبو عمرو بن العلاء : أول شعر قيل فى ذم الدنيا قول يزيد بن خذاق .. »(٣٢) .

ودليل آخر من النص نفسه ، وهو أن اسم الشاعر ورد فى تلك القصيدة فى البيت الثالث منها . وهذه هى القصيدة :

١ ـ هل للفتى من بنات الدهر من واق

أم هل له من حمام الموت من راق(٣٣)

٢ ـ كأننى قد رمانى الدهر عن عرض

بنافذات بلا ريش وأفواق(٣٤)

---

(٣١) شرح المفضليات القسم الثانى ص ١٠٥٥ .
(٣٢) الشعر والشعراء ص ٢٤٤ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت .
(٣٣) بنات الدهر : أحداثه ومصائبه . والحمام : الدنو . والراقى : من الرقية .
(٣٤) الأفواق : جمع فوق ، وهو مجرى الوتر من السهم .

٣ ـ اذ غمضونى وما غمضت من وسن
وقال قائلهم أودى ابن خذاق(٣٥)

٤ ـ ورجلونى وما رجلت من شعث
والبسونى ثيابا غير أخلاق(٣٦)

٥ ـ ورفعونى وقالوا ايما رجل
وادرجونى كانى طى مخراق(٣٧)

٦ ـ وارسلوا فتية من خيرهم حسبا
ليسندوا فى ضريح الترب أطباقى(٣٨)

٧ ـ هون عليك ولا تولع باشفاق
فانما ما لنا للواحد باقى

لقد استهل الشاعر قصيدته باستفهام يؤدى معنى النفى ، ويوحى بالتعجب من أمر الدهر ومصائبه التى لا يدفعها عن المرء دافع ، ومن أمر الموت الذى لا تنفع معه رقية ٠

لقد أيقن الشاعر أن لا وقاية من بنات الدهر ، ولا رقية من حمام الموت ٠ ويشكو ما رماه به الدهر من مصائب كالسهام النافذة ، وهل هناك أعظم من مصيبة الموت اذ يخرج الانسان من دنياه وأهله وماله وولده ـ رغم أنفه ـ ثم يفضى الى ما قدم من عمل ؟ ٠

---

(٣٥) الوسن : النوم ٠ أودى : هلك ٠
(٣٦) الترجيل : تسريح الشعر وتنظيفه وتحسينه ، والشعث ضد ذلك ، غير أخلاق : أى غير ممزقة ٠
(٣٧) طى مخراق : هو المئزر الذى يلويه الصبيان ، يضرب بعضهم به بعضا ٠
(٣٨) أرسلوا فتية : يعنى ليحفروا قبره ٠ الأطباق : المفاصل ٠

ويستحضر الشاعر ساعة موته ، ويتخيل أهله يتجمعون حوله ، يغمضون عينيه ، ويتكلمون بشأنه ، وينقل بعضهم الى بعض نبأ وفاته (أودى ابن خذاق) .

ثم يصلحون من هيئته ، فيرجلون شعره ، ويلبسونه كفنه ، ثم يرسلون فتية من أفضلهم ليشقوا له لحده ، وينتظروه عند مثواه الأخير ، لينزلوه فيه برفق وتؤدة .

ويتخيل الشاعر جنازته ، وقد حمله الرجال على أعناقهم جثة هامدة لا حراك فيها ، مسلوب القوة والارادة . كأنه المئزر المطوى الذى يضرب به الصبيان بعضهم بعضا .

والبيت الأخير محاولة للتعزى والتجلد فى مواجهة هذا المصير استنادا الى حقيقة ثابتة ، اهتدى اليها بعض الجاهليين ، وأكدها الاسلام ، وهى أن الله سبحانه وتعالى ، هو وحده الباقى الذى لا آخر لوجوده ، وأن الناس جميعا يموتون ، ثم الى ربهم يحشرون .

* * *

٨ ـ صخر بن عمرو بن الشريد

هو صخر بن عمرو بن الحارث بن الشريد ، من بنى سليم بن منصور ، من قيس عيلان ، كان فارسا شجاعا كثير الغزو ، أنضجته حروب الجاهلية وغاراتها ، ثم كان ضحية من ضحاياها .

كان له أخ اسمه معاوية قتله هاشم بن حرملة أحد بنى مرة بن غطفان ، فقال صخر : « والله ما بت منذ عقلت الا واترا أو موتورا ، أو طالبا أو مطلوبا ، حتى قتل معاوية فما ذقت طعم نوم بعده »(٣٩) وغزا واقريه ، فأخذ بثار أخيه وشفا نفسه .

وفى يوم ذات الأثل غزا صخر بنى أسد بن خزيمة واكتسح ابلهم ، فاتى الصريخ بنى أسد ، فركبوا حتى تلاحقوا بذات الأثل ـ (وهى موضع فى بلاد تيم الله بن ثعلبة) ـ فاقتتلوا قتالا شديدا ، فطعن ربيعة بن ثور الأسدى صخرا فى جنبه ، وظل صخر مريضا بسبب هذه الطعنة قريبا من الحول ، حتى مله أهله ، فسمع امرأة من جاراته تسال سلمى امرأته : كيف بعلك ؟ قالت : لا حى فيرجى ولا ميت فينسى ، لقد لقينا منه الأمرين .

وكانت تسأل أمه كيف صخر ؟ فتقول أرجو له العافية ان شاء الله ، فقال فى ذلك(٤٠) :

أرى أم صخر لا تمل عيادتى

وملت سليمى مضجعى ومكانى

---

(٣٩) أنظر العقد الفريد : ج ٥ ص ١٦٤ .

(٤٠) المصدر نفسه ص ١٦٦ . والأغانى ج ١٣ ص ١٣١ ، ط. بيروت . والشعر والشعراء ص ٢١٤ ـ بيروت .

فأى امرىء ساوى بام حليلة
فلا عاش الا فى شقى وهوان
وما كنت اخشى ان اكون جنازة
عليك ومن يغتر بالحدثان
لعمرى قد نبهت من كان نائما
واسمعت من كانت له أذنان
اهم بامر الحزم لو استطيعه
وقد حيل بين العير والنزوان
فلو ان حيا فائت الموت فاته
اخو الحرب فوق القارح العدوان

والأبيات صرخة مريرة ، يطلقها رجل يموت جريحا على فراشه ، وقد سمع زوجه تتضجر منه ، وتتمنى أن تستريح بوفاته ، بعد أن ملت عيادته ، ويتذكر الشاعر ماضيه الذى كان فيه ملء السمع والبصر ويتحسر على ضعفه ومرضه ، ثم يتسلى بالشعر ، معلنا أنه لو كان أحد يفوت الموت لفاته الفرسان وفروا منه حينما يبدو لهم قريبا منهم ، لكن كم من فارس لم ينجه من الموت فرسه ، ولا رمحه ولا سيفه ؟! فالموت مصير كل حى .

ولما طال البلاء على صخر ، وقد نبات قطعة من جنبه مثل اليد فى موضع الطعنة ، قالوا له : لو قطعتها لرجونا أن تبرأ . فقال : شأنكم . فقطعوها فمات .

وفى الأغانى أنه قبل موته سمع الخنساء أخته تقول : كيف كان صبره ؟ فقال :

أجارتنا ان الخطوب تنوب ... على الناس كل المخطئين تصيب
فان تسأليني هل صبرت فانني ... صبور على ريب الزمان صليب
كأني وقد أدانو الى شفارهم ... من الصبر دامى الصفحتين ركوب
أجارتنا لست الغداة بظاعن ... ولكن مقيم ما أقام عسيب

(وعسيب : جبل بأرض بنى سليم الى جنب المدينة ، وقبر صخر هناك) (٤١) .

وصخر هو أخو الخنساء الذى أكثرت القول فى رثائه ، ولها فيه :
وقائلة والنعش قد فات خطوها
لتدركه يا لهف نفسى على صخر
الا ثكلت أم الذين غدوا به
الى القبر ماذا يحملون الى القبر

* * *

(٤١) الأغانى : جـ ١٣ ص ١٣١ .

٩ ـ مخارق بن شهاب

هو مخارق بن شهاب ، من بنى مازن ، عاش زمن النعمان ابن المنذر ، وكان سيدا كريما (٤٢) ٠

قال مخارق يذكر قول الناس عنه اذا مات :

كم شامت بى أن هلكت وقائل
لا يبعدن مخارق بن شهاب(٤٣)
المشترى حسن الثناء بماله
والمالىء الجفنات للأصحاب
ماوى الارامل والضريك اذا اشتكى
وثمال كل معيل قرضاب(٤٤)
واخى اخاء قد غدا متقلدا
سيفا وراحلتى له وثيابى

والشاعر فى هذه الأبيات يعتز بذكره الطيب وحسن سيرته بعد موته ، فالناس سيذكرون له أنه كان ينفق ماله فى المكرمات ، ويملأ جفنات الطعام لأصحابه ، وأنه كان غياثا للفقراء ، سندا للضعفاء ، ماوى الأرامل ، شهما جوادا ، لا يبخل على ضيفه بشىء ٠

* * *

---

(٤٢) ترجمته ، والأبيات فى شعر بنى تميم فى العصر الجاهلى ، جمع وتحقيق الدكتور عبد الحميد محمود المعينى ص ٣٩٧ ٠ من منشورات نادى القصيم الادبى ـ ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢ م ٠

(٤٣) لا يبعدن : دعاء بعدم البعد والموت ٠

(٤٤) الضريك : الفقير ٠ القرضاب : الذى لا شىء عنده ٠ والثمال : **الغياث والعماد ٠**

١٠ ــ عبـــاد بــن شـــداد

هو عباد بن شــداد بن عبيــد بن ثعلبــة بن يربوع بن حنظـــلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم بن مــرة (٤٥) .

كان من المعمرين فى الجاهلية ذكــر السجستانى أنه عــاش مــائة وثمانين عــاما .

ومن شعره الذى قاله فى شيخوخته :

يا بــؤس للشــيخ عبـــاد بن شـــداد
أضــحى رهينـــة بيــت بــين أعـــواد
وتهـــزأ العــرس منى ان رات جســـدى
احـــدب لــم تبــق منـــه غيــر أجــلاد
فــان تــرينى ضــعيفا قاصـــرا عنــقى
فقــد اكعكــع عــنى عـــدوة العـــادى
وقـــد أفىء باثـــواب الــرئيس وقــد
أغـــدو على سلهب للــوحش صـــياد

وهى أبيــات تفيض بالتحسر على الشباب والقــوة ، بعد أن صــار الرجــل حبيس خيمتــه لا يخرج لحرب ولا لصيد كما كان يفعل .

وها هى ذى عرســه تهــزأ منــه ، من ضعف قــوته ، ومن هيئــة جســده الذى ضعف وانحنى صلبه ، ولم يبق منــه غير الجلد المتجعــد على العظــام اليابســة . لكن الشــاعر يلتمس فى ماضيه زادا يهــون عليه ما صــار اليــه حاله ، فيذكــر عرسه بأنه طالمــا دافع عن حمــاه وحمى قــومه ، وصــد الأعداء وأبعــدهم ، وكم حارب وانتصر وقتل الرؤساء وأخذ سلبهم ، وقد كان يركب جوادا سريعا يصيد به الوحوش .

---

(٤٥) شعر بنى تميم ص ٢٤٣ .

وهل يكفى كل ذلك لينسى الشيخ بؤسه ؟! وهل يشفع له ماضيه عند عرسه ؟! .

يبدو أن هم الكبر أكبر من أن يهونه تذكر الشباب ، لكن هذا التذكر – على أية حال – هو المتنفس الوحيد الذى يلجأ اليه المعمرون ليهونوا على أنفسهم مرارة العجز والازدراء والاهمال .

وقد يضاعف تذكر الشباب والأيام الخالية من الاحساس بآلام الكبر عندما يوازن الشاعر بين ماضيه وحاضره كما نجده فى قول الشاعر قشير بن عطى العبيدى (٤٦) :

١ – كفى حزنا الا ارد مطيتى
ولا اغدو مع القسوم فى وفد

٢ – وان امرعت قريان نجد ونورت
من البقل لم انظر بعينى فى نجد

٣ – وان اسال الأوغاد ما كان شأنهم
ولا اشهد الشورى لغى ولا رشد

٤ – وقد كنت اعطى السيف فى الروع حقه
حياء اذا جردت سيفى من الغمد

* * *

(٤٦) انظر شعراء بنى قشير فى الجاهلية والإسلام : القسم الثانى ص ١٤٢ تاليف الدكتور عبد العزيز محمد الفيصل – ط. عيسى الحلبى ١٣٩٨ هـ ١٩٧٨ م .
وقوله : أمرعت : أعشبت . القريان : جمع قرى وهو مجرى الماء فى الروض . والنور : الزهر . ونورت : كثر زهرها . البقل من النبات : ما ليس بشجر دق ولا جل . الوغد : الذليل الضعيف . الغمد : جفن السيف .

١١ - عبد القيس بن خفاف

هو الشاعر عبد القيس بن خفاف البرجمى ، وكنيته أبو حبيل . كان شريفا شجاعا ، عاش زمن النعمان بن المنذر ، وهو من الشعراء الحكماء(٤٧) .

يبدو من شعره أنه كان حريصا على مكارم الأخلاق ، وتعد قصيدته فى وصية ابنه جبيل كنزا للنصائح القيمة والمثل العليا .

ويبدو أن تذكره الموت كان أحد الدوافع التى أظهرت فى شعره هذا الاتجاه ، ففى قصيدته التى ضمنها وصاياه لابنه جبيل جاء البيتان الأخيران منها كانهما المبرر للالتزام بهذه الأخلاق التى يريد الشاعر من ابنه الحرص عليها ، وهما قوله :

ومؤمل قد قصرت إكفانه   ومحاذر اكفانه لم تعزل
ومشيد دارا لينزل داره   نزل القبور وداره لم ينزل

بل ان مطلع هذه القصيدة يدل على أن الاحساس بالموت كان أحد الدوافع فى قولها .

لقد بدأ الشاعر القصيدة بنداء الديار الدارسة ، دار عبلة التى ما زال يذكرها على الرغم من طول العهد وتقادم الزمن ، لكن أوصاف الدار تنبىء بالخراب وانقطاع العمران :

يا دار عبلة من مشارق ماسل
درس الشؤون وعهدها لم ينجل

---

(٤٧) راجع شعر بنى تميم ص ٣٤٧ ، شرح المفضليات - القسم الثالث ص ١٢٨٩ .

فاستبدلت عفـر الظبـــاء كأنما　　　أبعـارها فى الصيف حب الفلفـل
تمشى النعـام به خـلاء حـوله　　　مشى النصـارى حـول بيت الهيكل

فدار عبـلة غيرها البلى ، وفارقها أهلهـا ، وأمست خلاء من البشر حتى الحيوان الذى سـكنها تبدو صـورته فارغـة من أوصـاف الحيـاة النشيطة اللاهية التى يمكن أن نتصورها فى قطعان الظباء والوحش .

فالظبـاء التى سكنتها (عفر الظباء) نوع ضعيف العدو ، لـونه لون التراب ، وصـورة النعـام التى تمشى بهـا توحى بالخشـوع والفتور والضعف ، وتشبيه مشيها بمشى النصـارى حول بيت الهيـكل يدل على أن الرجـل كان مشـغولا بالتفـكر فى أمـــر الآخـرة . آخـرته التى أوشكت أن تحين ، ولذا جاءت وصـيته لابنـه بعـد هذه المقدمات ، وفى بدايتها اخبـار صريح بذلك فى قوله :

أجبيـــــل ان أبـاك كـارب يـومـــه
فـاذا دعيـت الى العظـــائم فافعـــل
أوصـــيك أيصــــاء امـــرئ لك ناصح
طـبن بـريب الدهـــــر غيـر مغفـل

ولعبد القيس قصـيدة يشرح فيهـا منهجه فى الحيـاة ابان فتـرة من عمـره وتبدو صفات العفـة والكـرم والشجاعة والنبـل ملامح بارزة لهـذا المنهج الذى أحبـه الشـاعر والتزمه وخالف به ومن أجـله من لامه عليـه ، وكان ذكـره الموت كذلك هو المبرر عنده للالتزام بهـذا المنهـج ، يقول عبد القيس بن خفاف (٤٨) :

صـــحوت وزايـلنى باطـــلى　　　لعمــر أبيـك زيالا طـويلا (٤٩)

---

(٤٨) أنظر شرح المفضليات : القسم الثالث ص ١٢٩٤ .
(٤٩) زايل : فـارق .

واصبحت لا نزقا باللحاء ولا للحوم صديقى اكولا(٥٠)
ولا سابقى كاشح نازح بذحل اذا ما طلبت الذحولا(٥١)
فاصبحت اعددت للنائبات عرضا بريئا وعضبا ثقيلا(٥٢)
ووقع لسان كحد السنان ورمحا طويل القناة عسولا(٥٣)
وسابغة من جياد الدروع تسمع للسيف فيها صليلا
كماء الغدير زفته الدبور يجر المدجج منها فضولا(٥٤)
فهذا عتادى وانى امرؤ أو الى الكريم واجفو البخيلا
ونار دعوت بها الطارقين والليل ملق عليها سدولا
الى ملق بضيوف الشتاء اذا الريح هبت بليل بليلا(٥٥)
حليم ولكنه فى الحروب اذا ما تلظت تراه جهولا

ذلك هو منهجه الذى ارتضاه لنفسه ، أما دافعه ومبرره فيبدوان فى قوله :

راى انه جزر للمنون ولوعاش فى الدهرعمرا طويلا(٥٦)
فطاوع رائده فى الهوى وعاصى - على ما أحب - العذولا

ويقين عبد القيس بن خفاف بالموت وانه أمر لا مفر منه ولا مهرب لأحد يتجلى أيضا فى اخباره زوجه بانه هالك لا محالة ، وأنها

---

(٥٠) النزق : الطائش . اللحاء : المخاصمة .
(٥١) الكاشح : المعرض عداوة . الذحل : الثار والعداوة .
(٥٢) العضب : السيف القاطع .
(٥٣) الرمح العسول : اللين .
(٥٤) المدجج : الكامل السلاح .
(٥٥) الملق : الود واللطف .
(٥٦) جزر المنون : حان أوان موته .

ستبين منـــه وتئيم مثــل كل النســاء اللائى يفقدن أزواجهن ، وفى نهيه اياها عن الجــزع والافــراط فى الحــزن ، اذ يقول :

افــاطم انى هـــــالك فتبيـنى ولا تجــزعى كل النســـاء يئيـم

ولا انبـــــان ان وجهــــك شـــــانه

خمـــــوش وان كان الحميـــم حميـــم

* * *

١٢ — دويد بن زيد بن نهد

ذكره ابن سلام فى طبقات فحول الشعراء ، فقال(٥٧) :

ومما يروى من قديم الشعر قول دويد بن زيد بن نهد ، قال حين حضره الموت :

اليوم يبنى لدويه بيته لو كان للدهر بلى أبليته
أو كان قرنى واحدا كفيته يا رب نهب صالح حويته
ورب غيل حسن لويته ومعصم مخضب ثنيته

وقال أيضا :

القى على الدهر رجلا ويدا
والدهر ما أصلح يوما افسدا
يصلحه اليوم ويفسده غدا

يشكو ما فعل به الدهر ، وفى نهاية حياته ينظر الى قبره الذى هو منزله الأخير وبيته ، ويصرح بعجزه عن مقاومة البلى وهو الشجاع الذى طالما هزم الأقران ، ولو أن الدهر كان يبلى لأبلاه ، ولو أنه كان رجلا لصرعه ، ولكن هيهات .

ويتذكر الشاعر أيام لهوه ومتعته وشبابه وفتوته ، أيام كان ينهب الغنائم الكثيرة ، ويجاوز الحراس ليستمتع بالنساء الجميلات . فاذا بالدهر يبدد كل قوة ويذهب كل نعمة ، ويفسد عليه أمره .

★ ★ ★

---

(٥٧) الطبقات ص ٣١ .

١٣ ــ افنــون التغلــبى

قــال المفضــل(٥٨) :

« بلغنــا أن رجــلا من بنى تغلب يقال له افنــون يلقب به ، واسمه صريم بن معشــر بن ذهــل بن تيم بن عمــرو بن مــالك بن حبيب بن عمــرو بن غنم بن تغلب لقى كاهنــا فى الجاهلية ، فسـأله عن مــوته ، فقال : أما انك تمــوت بمكان يقــال له الاهة ، فمكث ما شــاء الله ، ثم انه ســافر فى ركب مع قــومه الى الشــام ، فأتوها ، ثم انصرفوا فضلوا الطــريق ، فاستقبلهم رجــل فسـألوه عن طــريقهم ، فقــال : خــذوا كذا وكذا ، فاذا عنت لكم الاهــة ــ وهى قــارة بالسماوة ــ وضــح لكم الطــريق . فلما ســمع أفنــون ذكــر الموضــع تطــير ، فلما أتوها نزل أصحابه ، وأبى أن ينزل معهم ، فبينما ناقتــه ترتعى عــرفجا لدغتهــا أفعى فى مشفرها فاحتكت بســاقه ، والحيــة متعلقــة بمشفرها فلدغتــه فى ساقه ، فقال لأخ معه : أحفر لى قبرا فانى ميت .

وقيــل انه كان راكبــا حمــارا ، فلما أبى النزول مع أصحابه وطال وقوفه ربض الحمــار فلدغتــه حيــة ، وقالوا نهش حمــاره ، وسقط ، فقال لأصــحابه : انى ميت ، فقالوا : ما عليــك بأس . قال : فلم ربض العير اذاً ، فأرسلها مثــلا ، ثم قال يرثى نفســه :

١ ــ الا لست فى شىء فــروحا معــاويا
ولا المشــفقات اذ تبعــن الحــــوازيا

---

(٥٨) أنظر شرح المفضليات ـ القسم الثانى ص ٩٣٨ ، وراجع أيضــا الشعر والشعراء ص ٢٦٨ .

قـوله : الا لست فى شىء : كلام يائس مما يرجى أو يحـذر . والشىء اسـم لكل ما يجـوز أن يعلم أو يخبر عنـه ، فكان المـراد : ليس اليـك من الأمـر شىء لمـا استسلم بما استشعره من قول الحازى (وهو الكاهن) وحكمه ، خاطبه بهذا منتظرا للكائنة .

ولا المشفقات اذ يتبعن الحوازيا ، المـراد : انى لا اقـدر ان أدفـع عنى شـيئا كتب على ، وكذا النسـاء المشفقات اذ تبعن الكواهن يسـألنهم لا يغنين عمن أشفقن عليـه شيئا .

٢ ـ فلا خـير فيما يكـذب المـرء نفسـه

وتقـــوا له للشىء يا ليـت ذا ليــا

المعنى : أن حديث النفس ـ اذا حقت الحقائق ـ لا يغنى شـيئا ، صـدقا كان أو كذبا .

٣ ـ فطأ معرضـا أن الحتـوف كثيـرة

وانـــك لا تبـقى بمـــا لـك باقيـــا

يخـاطب صـاحبه أو نفسـه ، يقول : أقـدم على ما يعـرض لك واركب ما يعطيـك ظهـره ، عالمـا أن أنـواع المـكاره كثيرة ، وقوله : انك لا تبقى بما لك باقيا : يريد أن المـال لا يحرسك ولا يدفع مكـروها عنك ، وهو بعـرض الزوال وان اجتهدت فى تبقيته .

٤ ـ لعمـرك ما يدرى امـرؤ كيف يتقى

اذا هـو لـم يجعـل لـه الله واقيـــا

٥ ـ كفي حزنا أن يرحـل الركب غدوة

وأصـــبح في اعـلي الاهــــة ثـاويا

والشاعر فى هذه الأبيات يعرب عما أحسه من مرارة الموت الذى انتظره عندما أخبر بأنه بالموضع الذى أخبره به الكاهن ٠

ولو كان الموت بدار أهله لخفت عليه مشقة الأمر ، لكن الركب سيتركه ويرحل ويظل هو ثاويا فى موضع موته وحده ٠

* * *

١٤ — المـرقـش الأكبـر

هو عمـرو بن سعد ، ويقال : عوف بن سعد ، بن مالك ، بن ضبيعة ابن قيس ، بن ثعلبـة ، وينتهى نسبه الى ربيعة بن نزار •

وهو شاعر جاهلى ، عاصر المهلهل ، وشهد حرب البسوس(٥٩) •

وسمى المـرقش لقـوله :

الـدار قفـر والرسـوم كمـا رقـش فى ظهـر الأديم قـلم(٦٠)

والمرقش أحد عشـاق العـرب المشهورين بذلك ، وصاحبته أسـماء بنت عـوف بن مالك ، وقد كانت ابنـة عمه التى ربى معهـا صغيرا ، خطبها من أبيهـا ، فقـال له : لن أزوجـك اياهـا حتى تكون رئيسـا وتأتى المـلوك ، فخـرج مرقش ، فأتى ملـكا من ملوك اليمن ممتدحا له ، فأنزله وأكـرمه ووصـله ، وفى فترة اقامته باليمن أصـابت عمـه سنة فأجدب ، وخطب اليـه رجـل من مـراد أسماء ، فزوجه منها • فلما عـاد المرقش أشفق عليـه أخـوته وبنو عمـه من أن يخبروه بزواج ابنـة عمـه من المـرادى ، وأخـبروه أنهـا ماتت ، وذهبوا به الى قبـر قـد أخذوا قبل ذلك كبشا فاكلوا لحمه ووضعوا عظامه فى ذلك القبر •

وجعـل المرقش يزور هذا القبر معتقدا أن محبوبته ثاوية فيـه ، وبينمـا هو نائم عنـده ذات يوم اذ اختصم صـبيان من بنى أخيـه فى كعب معهما فقال أحدها لصـاحبه : هذا كعب الكبش الذى ذبح ودفن ، وقيل للمرقش : انه قبر أسماء ، دفعه الى أبى •

---

(٥٩) أنظر شرح المفضيات : القسم الثانى ص ٨٠٩ •
(٦٠) الشعر والشعراء : ص ١١٩ •

فلما سمع المرقش ذلك من الصبى فعد مذعورا ، وما زال بالصبى حتى أعلمه الخبر ، فعمد الى بعير له وحمل معه مولاة وزوجا لها من قبيلة غفيلة كان أجيرا يرعى للمرقش ، وذهب يطلب المرادى زوج أسماء ويبحث عنه ، فمرض مرضا شديدا ، فتركه الغفيلى فى غار وانصرف الى أهله فأخبرهم أن المرقش مات ، فأخذوه وضربوه حتى أقر فقتلوه ، ويقال : أن أسماء وقفت على أمره فبعثت اليه ، فحمل اليها ، وكانت السباع قد أكلت أنفه وبعض لحمه ، فقال :

يا صاحبى تلوما لا تعجلا
أن الرحيل رهين الا تعذلا(٦١)
فلعل بطأ كما يفرط سيئا
أو يسبق الاسراع سيبا مقبلا(٦٢)
يا راكبا اما عرضت فبلغا
أنس بن سعد ان لقيت وحرملا(٦٣)
لله دركما ودر أبيكما ان افلت الغفلى حتى يقتلا(٦٤)
من مبلغ الأقوام إن مرقشا
أمسى على الأصحاب عبئا مثقلا

---

(٦١) تلوما : أى تلبثا .
(٦٢) يفرط : يقدم ، مأخوذ من الفارط ، وهو المتقدم قبل الماشية ، يصلح الدلاء الأرشية . ومعناه المراد هنا : يفوت وينحى ، فيقول : تريثا لعل التريث وعدم العجلة أن يفوت عنكما مكروها ، ولعل سيبا مقبلا يكون بعد عجلتكما فانتظاركما أوفق .
(٦٣) أنس وحرملة : أخواه .
(٦٤) تحضيض وحث على قتل الغفلى .

ذهب السباع بأنفه فتركنه أعشى عليه بالجبال وجيالا (٦٥)
وكأنما ترد السباع بشلوه إذ غاب جمع بنى ضبيعة منهلا (٦٦)

فهذا شاعر قتله العشق ، والأبيات تصور نفسه الرقيقة المعذبة ، فى محنة شديدة ، عاني الشاعر فيها فقد المحبوبة ، وتخلى رفاق الطريق ، والغيبة عن أهله وداره ، والمرض الشديد الذى جعله على رفاق الطريق عبئا مثقلا ، مما دعاهم الى تركه وحيدا فى غار والانصراف عنه .

وتجتمع المصائب على الشاعر من كل جهة ، وتبلغ مأساته ذروتها بهذه السباع التى اجتمعت عليه ، تنهش لحمه وتعبث به ، وهو لا يملك قوة لدفعها ومنع نفسه منها .

وتتضمن الأبيات رسالة الى قومه بنى ضبيعة ، والى أخويه خاصة ألا يترك الغفلى الذى ترك الشاعر وحيدا فى الغار ، فريسة للمرض وللسباع ، ويحثهم على قتله ، لكنه يأمر صاحبيه اللذين وجه اليهما نداءه فى البيت الأول أن يتريثا ، ويبدو أنه كان يريد من أخويه ألا يتعجلا بقتل الغفلى قبل أن يعرفا منه مكان المرقش وخبره ، ليرحلا اليه ويدركوه .

* * *

(٦٥) الأعشى : هو من الضباع الذكر العظيم ، والأعشى : لون الى السواد ، وهو الكثير الشعر أيضا . والجيال : الضبع ، ونصب عى أنه مفعول معه ، يريد : اجتمع عليه أعشى مع جيال فأكلاه .
(٦٦) شلوه : بقايا لحمه وعظامه . والمعنى : كأنما ترد السباع منهلا بورودها شلوه . راجع شرح المفضليات : القسم الثانى ص ٨٠٩ .

الفصل الثانى

رثاء الآخرين

يرتبط شعر الرثاء بالموت ارتباطا وثيقا ، اذ هو نتيجة للموت ومسبب عنه ، وقد ثبتت تقاليد هذا الفن وتأصلت عند شعراء الجاهلية ، وتتمثل هذه التقاليد فى التعبير عن مشاعر الحزن والأسى ، والاحساس بعظم المصيبة فى موت المرثى ، ثم فى تعداد مآثره وفضائله التى كان يتصف بها فى حياته ، ثم محاولة التعزى عن فقده بتذكر مصائر من كانوا قبله ، والالتفات الى أن الموت مصير جميع البشر .

ورثاء الأفراد كثير جدا فى الشعر الجاهلى ، وقد كانت الحروب رافدا يمد فن الرثاء ويثريه ، ويجدد طاقة الشعراء ، فما من حروب أو غارة الا ويسقط فيها العديد من القتلى ، فتنشد فيهم قصائد الرثاء على ألسنة اخوتهم أو أصدقائهم أو بنى قبائلهم من الشعراء .

وفى هذا الفصل حاولت جهدى أن أنتقى من الشعر الكثير الذى قيل فى الرثاء ما يتفق ومنهج هذه الدراسة وغرضها ، فاغفلت أكثر شعر الرثاء الذى غطت فيه شخصية المرثى على احساس الشاعر بالموت بوصفه حدثا يزلزل الوجدان ، ويلفت المرء الى المصير المحتوم الذى ينتظره سائر الناس ، كما أغفلت القصائد التى استغرقها التعبير عن عاطفة الشاعر نحو المرثى ، بتصوير حزنه عليه وألمه لفقده دون تركيز على فكرة الموت أو رؤية الشاعر له واحساسه به .

فمثلا قصيدة أوس بن حجر فى رثاء فضالة بن كلدة من الرثاء

الذى تظهر فيه شخصية المرثى ظهورا واضحا لكن فكرة الموت أو رأى الشاعر فيه أو احساسه به لا يظهر . يقول أوس بن حجر (١) :

أيتهـا النفس أجملى جزعا ... ان الذى تحذرين قد وقعا

ان الذى جمع السماحة والنجدة ... والحزم والقوى جمعا

الألمعى الذى يظن بك الظن ... كأن قد رأى وقد سمعا

والمخلف المتلف المرزأ لم ... يمنع بضعف ولم يمت طبعا

وتمضى القصيدة على هذا النحو ، تعدد فضائل المرثى ومآثره التى كان يتصف بها فى حياته من سماحة ونجدة وشجاعة وكرم وحزم وذكاء .

ومن القصائد التى استغرقها التعبير عن عاطفة الحزن وتصوير ألم الفقد دون أن تركز على حقيقة الموت بالتأمل والاحساس ، قصيدة جليلة بنت مرة فى رثاء زوجها كليب الذى قتله جساس أخوها ، فلا شك أن عواطف الحزن والأسى والحيرة واليأس تملؤها وهى تصوير لمأساة امرأة ترى بيتها يتهدم بقتل زوجها ، وتلمح فى الأفق نذر الشر التى تنبىء عن وشك قيام حرب ضروس بين قبيلة زوجها وقبيلة أخيها التى اليها تنتمى ، وهى فى حزنها على زوجها القتيل وضيقها بفعلة أخيها ، لا تستطيع قتل عاطفة الأخوة عندها ، فهى مشفقة على أخيها المطلوب للثأر .

وفى خضم هذه العواطف الملتهبة غابت فكرة الموت عن القصيدة

---

(١) الرثاء فى الشعر العربى ص ٨٨ ، د. محمود حسن أبو ناجى ، ط ٢ دار الحياة - بيروت - ١٤٠٢ هـ .

ولم يكن بوسع الشاعرة ان تتامل حقيقته او تعبر عن رايها فيه ونظرتها اليه ، تقول جليلة بنت مرة(٢) :

يا ابنة الأقوام ان لمت فلا
تعجلى باللوم حتى تسالى
فاذا انت تبينت الذى يوجب اللوم فلومى واعذلى
ان تكن اخت امرىء ليمت على
شفق منها عليه فافعلى
جل عندى فعل جساس فيا
حسرتى عما انجلت أو تنجلى
فعل جساس على وجدى به
قاطع ظهرى ومدن أجلى
لو بعين فقئت عينى سوى
اختها فانفقات لم احفل
تحمل العين قذى العين كما
تحمل الام أذى ما تفتلى
يا قتيلا قوض الدهر به سقف بيتى جميعا من عل
هدم البيت الذى استحدثته وانثنى فى هدم بيتى الاول
ورمانى فى قتله من كثب رمية المصمى به المستاصل
يا نسائى دونكن اليوم قد خصنى الدهر برزء معضل
خصنى قتل كيب بلظى من ورائى ولظى مستقبل

---

(٢) الرثاء فى الشعر العربى : ص ٧٩ .

ليس من يبكى ليومين كمن   انما يبكى ليوم ينجلى
يشتفى المدرك بالثار وفى   دركى ثارى ثكل المثكل
ليته كان دمى فاحتلبوا   بدلا منه دما من أكحلى
اننى قاتلة مقتولة   ولعل الله ان يرتاح لى

فهذا النوع من الرثاء لا يعنينا في هذه الدراسة لأن المقصود منها معالجة فكرة الموت ورؤية الجاهليين له واحساسهم به ۰ ومن الرثاء الذى يظهر فيه احساس الشاعر بالموت ، أو تبدو صورته ومشهده على نحو ينم عن احساس الشاعر به قول امرىء القيس فى رثاء بعض أجداده(٣) :

ملوك من بنى حجر بن عمرو   يساقون العشية يقتلونا
فلو فى يوم معركة أصيبوا   ولكن فى ديار بنى مرينا
ولم تغسل جماجمهم بغسل   ولكن فى الدماء مر ملينا
تظل الطير عاكفة عليهم   وتنتزع الحواجب والعيونا

ففى هذه الأبيات تصوير للموت فى عدة مشاهد مروعة هى فى حقيقتها شرائح من نفس الشاعر تجلى احساسه بهذا الحدث ، وهذه المشاهد تكون فى مجموعها صورة الموت الذى حل بأجداده ، فهم يساقون عشية الى القتل ، ويقتلون وتمرغ جماجمهم فى الرمال ولا تغسل ، ويتركون نهبا للطير الجارح ينزع حواجبهم وعيونهم ويعبث بأجسادهم التى لم توار التراب ۰

---

(٣) الرثاء فى الشعر العربى : ص ٩٧ ۰

وهذه المشاهد مروعة بلا شك ، ترسم الموت فى صورة رهيبة وهو موت بطريقة تبعث الفزع والأسى فى النفس ، وقد استقرت هذه الصورة فى نفس الشاعر ، فظهر احساسه بها فى تعبيره عنها ووصفه اياها ، ولقد أراد الشاعر أن يجعل هذه المشاهد حاضرة فى نفس السامع كما كانت حاضرة عنده ، فاستخدم التعبير بالفعل المضارع (يساقون ـ يقتلون ـ تغسل ـ تظل ـ تنتزع) .

ومن المراثى التى يظهر فيها احساس الشاعر بالموت كذلك مرثية كعب بن سعد الغنوى فى أخيه ، وكان الشاعر قد خرج بأخيه المغوار الى البادية لمرض كان شائعا فى المدينة خاف على أخيه منه ، وقد قيل له ان الوباء كان فى المدينة ، والبادية بريئة منه ، فخرج اليها طالبا نجاة أخيه من الموت ، لكن الموت أدرك أخاه فى البادية ، فقال كعب (٤) :

فخبرتمانى انما الموت بالقوى
فكيف وهذى روضة وكثيب
وماء سماء كان غير محمة
بداوية تجرى عليه جنوب(٥)
ومنزلة فى دار صدق وغبطة
وما افتال فى حكم على طبيب(٦)

---

(٤) راجع طبقات فحول الشعراء لابن سلام : تحقيق محمود شاكر ، جـ ١ ص ٢١٢ .
(٥) أرض محمة : ذات حمى . والداوية : الفلاة المتباعدة التى تدوى فيها الرياح .
(٦) افتال : تحكم . وهذا منزل فى أرض بريئة من العيب ، لا طبيب بها يتحكم ويدعي فكيف اذن غاله الموت ؟ .

فلـو كانت المـوتى تبـاع اشـتريته
بما لـم تكن عنـه النفـوس تطيب

بعينـى وكلتـا يـدى وقيـل لـى
هـو الغـانم الجـذلان حـين يؤوب

وداع دعـا يامن يجيب الى النـدى
فلـم يستجبـه عنـد ذاك مجيـب

فقلت ادع اخرى وارفع الصـوت دعـوة
لعـل ابا المغـوار منـك قـريب

يجـبك كمـا قـد كان يفعـل انـه
مجيـب لأبـواب العـلاء طـلوب

وهـذه القصيدة جـديرة ـ بحق ـ بما نالته من استحسان النقـاد وتقديرهم ، فقد سئل الأصمعى عن فحول الشعراء ، وكان كعب بن سعد الغنوى ضمن الشعراء الذين سئل عنهم : هل يعـد من الفحول ؟ فأجاب الأصمعى بقوله : « ليس من الفحول الا فى المرثيـة ، فانه ليس مثلهـا فى الدنيا » (٧) يعنى تلك القصيدة ٠ وبها عده ابن سلام من طبقة شعراء المراثى ٠ كما رواها أصحاب المختارات ، الأصمعى فى الأصمعيات ، والقرشى فى الجمهرة والقالى فى الأمالى ٠

ووصفها محمود شاكر بأنها من بارع كلام العرب ونبيله(٨) ٠

---

(٧) انظر تاريخ النقد الأدبى عند العرب ـ د / احسان عباس ص ٥٢ ـ ط٠ الخامسة ـ دار الثقافة ـ بيروت ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦ م٠
(٨) طبقات فحول الشعراء ص ٢١٢ هامش (٣) ٠

وفى الأبيات الأولى تعجب كعب من أمر الموت الذى تبع أخاه وأدركه بعد أن خرج من قرية الوباء التى أخبر أن الموت كامن بها . فكيف أدركه الموت فى هذه البادية النظيفة البعيدة عن الحمى والبريئة من الوباء والمرض ؟ !

فخبرتمانى انما الموت بالقرى فكيف وهذى روضة وكثيب

والتعبير يوحى بالتحسر والحيرة والعجب من شأن الموت الذى لم تنفع معه الحيلة ، ولم ينج منه الخروج من القرية الى البادية .

ووقع المصيبة على الشاعر شديد ، لكن ادراكه لحقيقة الموت ، وأن الذى تختاره المنية لا يفتدى ولا يعود حاضر فى نفسه ، ولا يملك الشاعر فى مواجهة ذلك الا تمنى المستحيل باستخدام « لو » التى يمتنع جوابها لامتناع الشرط الذى علق عليه :

فلو كانت الموتى تباع اشتريته بما لم تكن عنه النفوس تطيب
بعينى أو كلتا يدى وقيل لى : هو الغانم الجذلان حين يؤوب

ثم يلتفت الشاعر الى ما تركه أخوه من فراغ ، فمن الذى سيجيب طالبى الغوث والنجدة والعطاء بعده ؟ .

وبسبب شدة الأمر على الشاعر وشدة تعلقه بأخيه يبدو وكأنه يرفض التصديق بموته ، فيجنح خياله ليتصور المستحيل ممكنا ، فيدعى أن أخاه سيجيب من يدعوه للبذل والعطاء جريا على عادته فى حياته :

وداع دعا يامن يجيب الى الندى فلم يستجبه عند ذاك مجيب
فقلت ادع أخرى وارفع الصوت دعوة
لعل أبا المغوار منك قريب
يجبك كما قد كان يفعل انه مجيب لأبواب العلاء طلوب

وهــذا التردد بين الاعتراف بغياب المرثى ، والأمل الشــاحب فى امكان ارجاعه أو استجابته لنــداء دعاته ، وهــذا التارجح بين الحقيقة الواقعــة والأمل المستحيل ، انما هو نتيجــة لاحساس الشــاعر بفــداحة مصابه ، وذلك مرتبط بما فوجىء به الشاعر من اختــلاف النتيجــة مع المقدمة ، أعنى خروجــه باخيه الى البادية لينجــو من الموت ، وادراك المــوت اياه على الرغم من ذلك ، وهو ما تعجب الشــاعر منــه فى أول القصــيدة .

ومن هــذا الشعر كذلك قصيدة سعدى بنت الشمردل فى رثاء أخيها اســعد وفيها تقول :(٩)

امــن الحــوادث والمنــون اروع وابيــت ليــــلى كلــه لا اهجــع
أفليس فيــمن مضى لى عــــبرة هلكوا وقــد إيقنت أن لن يرجعــوا

والبيتان تصــوير لما تعانيــه الشاعرة من فزع وســهد ، ومحاولتها التصبر والتعــزى بمن مضى من الناس الى طريق الموت .

ثم تثنى الشاعرة على أخيها بالكرم والنجــدة على عــادة الشعراء فى هــذا الفن .

ثم تعرب الشاعرة عن أمنيــة مستحيلة راودتها ، وهى افتــداؤها أخاها من الموت ، ولكن أنى يكون ذلك وقــد انطلق سهم المنيــة اليــه فصرعه ، وقد رأته بعينيها مجنــدلا فى دمائه ، وتركتــه موجعة حزينة تحمل خبر مقتل أخيها وما أشنعه من خبر :

فوددت لو قبلت باســعد فــدية مما يضن بــه المصــاب المــوجع
غادرته يــوم الرصــاف مجنــدلا خـــبر لعمرك يوم ذلك اشـــنع

---

(٩) انظر الرثاء في الشعر العربي ص ٧٠

ومن هـذا الرثاء أيضا قصيدة المهلهل في رثاء أخيـه كليب وفيها يقول :(١٠)

اهـاج قـذاة عيــنى الادكـــار هدوءا فالدموع لهــــا انحـدار
وصـار الليـل مشـتملا علينــا كأن الليـل ليس لــه نهــــار
وابكى والنجـوم مطلعـــات كأن لم يحـوها عنى النجـار
دعـوتك يا كليب فـلم تجبـــنى وكيـف يجيبـنى البلد القفـار
اجبني يـا كلـيب خـــلاك ذم لقــــد فجعت بفارســـها نـزار

ودعوة الشاعر للميت وطلبـــه منه أن يجيبه محاولة لاستبعاد مـا وقع - وكأنه لا يصدق موت أخيه - ثم لا يلبث الشاعر أن يصف حـــزنه وجزعــه على فقــد أخيه الذى تأكد له موته ، وأنه لن يجيبه ، وبعدأن يعدد مآثره يحاول أن يتعزى وأن يلتمس الصبر فيما عرفه من أمر الحياة وأمر المـــوت .

أرى طول الحيـــاة وقـد تـولى كما قـد يسـلب الشىء المعـــار

ثم تلقاناه فى قصيدة المهلهل صـورة القبر الذى غيب فيـه أخـوه فقد سأل الشاعر عن مكانه وقصـده وسار اليه ، وعنده ندب أخاه :

سـألت الحـــى أيـن دفنتمـوه فقـــالوا لى بســفح الحـى دار
فسرت اليـه من بـلدى حثيثــا وطـار النـوم وامتنـع القــرار
وحـادت ناقتى عن ظـل قـــبر ثـــوى فيـه المكارم والفخـــار

ومن المراثى التى يظهر فيها احساس الشـاعر بالموت كذلك مرثيـة سلمة بن يزيد فى أخيه ، وفيها يقول :(١١)

---

(١٠) الرثاء فى الشعر العربى ص ٤٨
(١١) الرثاء في الشعر العربي ص ٧٣

أقول لنفسى فى الخـلاء الومهـا لك الويل ما هذا التجلد والصبر
ألا تفهمـين الخـبر أن لسـت لاقيـا
أخى اذا ما أتى من دون أكفـانه القـبر
وكنت اذا يأتى بـه بين ليـلة يظل على الأحشاء من بينه الجمر
فهـذا البـين قـد علمنا ايـابه فكيف لبـين كان موعـده الحشر
وهون وجدى أنى سـوف اغتدى على أثـره وان نفس العمـر
فـلا يبعـدنك الله أمـا تركتنـا حميدا واودى بعدك المجد والفخر

وقـد تضمنت هـذه الأبيات معانى شريفة ، فالشاعر يلوم نفسـه وينكر عليها التجلد ، ويخاطب نفسه مذكرا اياها بفداحة مصابه فى أخيه وقد كان لا يطيق الصبر على فراقه ليلة واحـدة ، فكيف يطيق فراقا ليس بعده اياب ، وليس منه رجعة ؟ !

والذى هون الأمر على الشـاعر علمه أنه سيتبع أخـاه فى المصـير نفسـه .

ومن هـذا الشعر كذلك ما قالته ليلى بنت طريف فى رثاء أخيهـا فقد ظهر فى هـذا الرثاء احساسها بالموت ، وتحـدثت عن القبر ، مع التعبير عن عاطفة الحزن التى استبدت بها على فراقه فقالت :(١٢)

بتـل بناثا رسـم قـبر كانـه على جبـل فوق الجبـال منيـف
تضـمن جـودا حاتميـا ونائـلا وسـورة مقـدام ورأى حصـيف
الا قاتل الله الحشى كيـف أضمـرت فتى كان للمعـروف غـير عيـوف
فان لا تجبنى دمنـة هى دونـه فقد طال تسليمى وطال وقـوفى

---

(١٢) الرثاء في الشعر العربي ص ٧٦

ثم تتمنى امكان فدائه ، اذن لفدته بالألوف من الابل - وهى فدية اقل مما ورد عند كعب بن سعد ، فقد ود أن يفدى أخاه بعينه وكلتا يديه ، وهى فدية أثمن من الوف الابل - بلاشك .

ثم تصف الشاعرة أخاها بانه كان شجا لعدوه ، وكان للضعفاء ملجا ، وانه كان حليف الندى فتقول :

فقدناه فقدان الربيع فليتنا فديناه من دهمائنا بالوف

ومازال حتى أزهق الموت نفسه شجا لعدو أو لجا لضعيف

حليف الندى ان عاش يرضى به الندى

وان مات لا يرضى الندى بحليف

ثم تخلع الشاعرة حزنها على أشجار الخابور ، وتتعجب من ايراقه وقد كان جديرا به ألا يورق حزنا على أخيها ، وتتصور موته سقوطا للبدر وكسوفا للشمس ، على نحو ما يفعل شعراء الرومانسية فى العصر الحديث ، تقول ليلى بنت طريف :

فيا شجر الخابور مالك مورقا

كانك لم تجزع على ابن طريف

وللبدر من بين الكواكب اذ هوى

وللشمس همت بعده بكسوف

ثم تظهر فى نهاية القصيدة صورة النعش يحمله القوم الى مثواه الأخير ، مشيعا ببكاء الرجال وعويل النساء :

ولليث فوق النعش اذ يحملونه

الى حفرة ملحودة وسقوف

بكت تغلب الغلباء يوم وفاته

وابرز منها كل ذات نصيف

وفى رثاء عمرو بن حممة الدوسى ، وهو أحد من كانت العرب تتماسك اليه ، قال حاطب بن قيس(١٣) :

سلام على القبر الذى ضم أعظما
تحوم المعالى حوله فتسلم

سلام عليه كلما ذر شارق
وما استقطع من دجى الليل مظلم

فيا قبر عمرو جاد أرضا تعطفت
عليك ملث دائم القطر مرزم

تضمنت جسما طاب حيا وميتا
فانت بما ضمنت فى الأرض معلم

فلو نطقت أرض لقال ترابها
الى قبر عمرو الأزد حل التكرم

فلا يبعدنك الله حيا وميتا
فقد كنت نور الخطب والخطب مظلم

وصورة القبر هى التى ملأت هذه الأبيات ، فالشاعر يحييه ويسلم عليه ، ويصور المعالى تحوم حوله وتحيط به ، ويستديم عليه التحية كلما ذر شارق ، ويدعو له بالسقيا الدائمة .

والقبر فى ذاته لا قيمة له ، لكن ما تضمنه القبر هو المقصود ، فقد ضم ثراه رجلا طيبا ، وأصبحت بقعته معلما من معالم الأرض ، ولو أن الأرض قدر لها أن تنطق لشهدت بالفضل لهذه البقعة وشرفها على

---

(١٣) الرثاء في الشعر العربي : ص ٩٣ .

غيرها . ثم يدعو الشـاعر للمرثى بعدم البعـد ، وأن يبقى مذكوراً بعد موته كما كان مشـهورا فى حيـاته ، فقد كان نـورا يضىء المظلمـات ويكشف الكـربات .

وتركـيز الشـاعر على صـورة القبر دليـل على قـوة احسـاسه بالموت ، وهو ما قصدت الى ابرازه هذه الدراسـة فيما اختارته من نماذج شـعر الرثاء .

الفصل الثالث

الحـــكمة

شعر الحـكمة هو مسـتودع الأفـكار وخلاصـة الآراء فى قضـايا الوجـود والحيـاة والموت ، صاغها الشـاعر الجاهلى ، صـادرا عن نفسـه وعقله ، معبرا عن قيم عصره وبيئته وقـومه •

والموت قضـية شغلت الانسـان فى كل عصر وبيئـة ، فليس شىء أخطـر على الانسـان من الموت • هـذا الحدث الذى يطفىء مصباح الحياة ، ويبدو الآمال ، وينتزع الانسان من أهله وماله ودنياه •

وفى طبيعـة البشر حب الحيـاة والتشبث بالعيش • يود أحدهم لو يعمـر الف سنة • والذين يكـرهون طـول المكث فى الدنيـا لا يكرهونه ذاته ، وانما يكـرهون ما يصـاحبه من مـرض وعجـز ، ولو كان مع البقـاء سـلامة لمـا كـره أحد طول العمر •

لهذا أخذ الموت مكانا مميزا بين القضـايا الكبرى التى تحدث عنها الحـكماء وتأملها الشـعراء •

ويبدو الموت فى شـعر الحـكمة عند الجاهليين أبرز القضـايا التى تناولوها مما يدل على زيادة انشغالهم به عن غيره (١) •

---

(١) راجع الوصايا والحكم فى الأدب الجاهلى : رسالة ماجستير ، اعداد محمد عبد الجواد فاضل ـ مخطوطة بمكتبة كلية اللغـة العربية بالقـاهرة •

وفى حديثهم عن الموت تناولوه من عدة جوانب ، ورصدوا مجموعة من الظواهر المتعلقة به ، فتحدثوا عن حقيقته واتيانه على جميع الخلائق ، وعن تفاوت الآجال ، وعن كراهية الانسان للموت . وهم فى فى كل ذلك يصورون الموت طالبا والانسان مطلوبه ، أو صائدا يلقى شباكه على الناس ، فيصيب منهم ما يريد . لأن سهمه لا يخطىء وقصده لا يخيب .

وقد أدرك الجاهليون أن هذا القدر - أعنى الموت - ماض على الناس جميعا ، وحاول بعضهم أن يعتبر بمن سبقه الى هذا المصير المحتوم على نحو ما قال قس بن ساعدة (٢) :

فى الذاهبين الأوليـن من القرون لنا بصائر
لما رأيت مواردا للموت ليس لها مصادر
ورأيت قومى نحوها يمضى الأصاغر والأكابر
أيقنت أنى لا محالة حيث صار القوم صائر

وهذا امرؤ القيس فى لحظة تأمل يدرك أن المنايا آتية على سائر الناس ، لا تفرق بين عاقل ومجنون أو كيس وأحمق ،

تلك المنايا فما يبقين من احد
يكفتن حمقى وما يبقين أكياسا

ويرى طرفة بن العبد الموت مصاحبا للانسان ، ملازما اياه فى سفره واقامته ، منفردا ومع أقرانه ، يقبض المرء على أى حال لأن الموت معه حيثما يكون . يقول طرفة (٣) :

---

(٢) راجع الأغانى : جـ ١٤ ص ٤٠ - بيروت .
(٣) ديوان طرفة تحقيق د. على الجندى ص ٢٣٧ - مكتبة الأنجلو المصرية .

مـن كـان فى سـفر فالمـوت صـاحبه

او كـان فى حضـر فالمـوت ياتيـه

وان مضى خمسـة فالمـوت سـادسهم

وان مضى واحـد فالمـوت ثانيـه

ويفطن بشـر بن أبى خـازم الى ان سـلامة المـرء لا تدوم ، وان دامت فانها لا تحول بينه وبين الموت ، فيقول :

وكـل نفـس امـرىء وان سـلمت

يـوما ستحسـو لميتـة جـرعا(٤)

كما ان طول العمـر والبقـاء فى الدنيـا لا يشـفع للمـرء عنـد المـوت ، فكل معمـر ينتظـر منيتـه ليفـارق الدنيـا . هـذا ما عبـر عنـه أمية بن أبى الصلت فى قـوله :

فـكل معمـر لابـد يومـا وذى دنيـا يصـير الى زوال

ويفـنى بعـد جـدته ويبـلى سوى الباقى المقدس ذى الجلال(٥)

ومن وحى البيئـة الجاهلية التى كثر فيها القتـل - حـربا أو غارة أو غيـلة أو ثارا - الى حـد يشـبه الفوضى ، أتى تشـبيه زهيـر بن أبى سلمى للمنـايا بالنـاقة العشـواء التى تخبط على غير نسـق أو ترتيب ، وتضرب دون حـكمة أو نظـام ، فمن أصـابته هلك ومن أخطـأته نجا ، وذلك فى قـوله :

رايت المنـايا خبـط عشـواء مـن تصـب

تمتـه ومـن تخطىء يعمـر فيهـرم(٦)

---

(٤) ديوان بشر : تحقيق د. عزه حسن ص ١٢٤ - دمشق ١٩٦٠ .
(٥) ديوان أمية : ص ٤٩ - المكتبة الأهلية - بيروت .
(٦) ديوان زهير : ص ٨٦ - دار صادر - بيروت .

لكن زهيرا يدرك أن هـذه النجـاة الى أجـل ، فالموت هو المصـير المحتـوم لكل حى ، لا يستطيع أحـد الهـرب منـه أو الفـرار ، حتى لو رام الصعود الى السـماء .

ومـن هـاب أسـباب المنـايا ينلنـه
وان يـرق أسـباب السـماء بسـلم(٧)

والشعراء الجاهليون يجمعون على القـول بحتميـة الموت واتيـانه على جميـع الخـلائق ، وأنه يأتى بغتـة من غير موعد . وهذه الحقائق أدركوها من رؤيتهم لحال الموت مع الناس .

يقول عبيد بن الأبرص(٨) :

وللمـرء أيـام تعـد وقـد رعـت
حبـال المنـايا للفـتى كـل مرصـد
منيتـه تجـرى لـوقت وقصـره
ملاقـاتها يومـا على غيـر موعـد
فمن لـم يمـت فى اليـوم لابـد أنه
سيعلقـه حبـل المنيـة مـن غـد
فقـل للذى يبغـى خـلاف الذى مضـى
تهيـا لأخـرى مثلهـا فـكان قـد
فـانا ومـن قـد بـاد منـا لـكالذى
يـروح وكالقـاضى البتـات ليغتـدى

وتبدو رؤية عبيـد صـائبة متفقـة والحق فى تلك الأبيـات ، فالمرء

---

(٧) السـابق .
(٨) ديوان عبيد تحقيق وشرح د. حسين نصار ص ٥٦ ـ الحلبى .

أيامه في الدنيا معدودة ، والموت يتربص به انتهاء الأجل الذى لا يعرف وقته غير خالق الموت والحياة .

والذى لا يموت اليوم سيموت غدا ، وما أقرب اليوم من الغد فكل آت قريب ، وعلى هذا فما أقرب الأحياء من الأموات .

وقد صاغ عبيد بيته الأخير فى صورة مستوحاة من بيئته اذ شبه الموتى والأحياء بقوم سافر بعضهم آخر النهار أولئك الذين سبقوا الى القبور . والبعض الآخر يحزم أمتعته استعدادا للسفر فى الصباح . أولئك الذين ينتظرون أجلهم وهو آت لا ريب .

حتى الفرسان الذين يخوضون غمار الحرب لا يبالون ، شغلتهم حقيقة الموت ، وحيرتهم حكمته ، عندما رأوه يخطف طفلا من مهده الآمن من كل خطر ، المحوط من أهله بالرعاية والحفظ ، ويمهل شيخا يعرض نفسه للمهالك ويشارك فى الحرب . ها هو ذا عنترة ابن شداد يعبر عن ذلك فى قوله (٩) :

يخوض الشيخ فى بحر المنايا
ويرجع سالما والبحر طام
وياتى الموت طفلا فى مهود
ويلقى حتفه قبل الفطام

ولقد كان ذلك خليقا بأن يلقى فى قلوب الفرسان كثيرا من الشجاعة ، فما دام الموت غير مرتبط بعمر ولا خطر ولا أمن ، فلماذا يخاف الفارس من الحرب ، ولماذا يرهب الموت فيها ، فقد يترك

---

(٩) ديوانه : ص ١٨٠ .

ألموت الرجل المحارب ويأتى على الطفل الصغير ، فالعبرة أذن بما قضاه الله وقدره ، ولهذا قال عنترة بن شداد أيضا :

يا عبل أين من المنية مهربى
ان كان ربى فى السماء قضاها(١٠)

وهذا الذى عرفه الجاهليون من أمر الموت اهتدوا اليه بالفطرة وبالتجربة والمشاهدة والأخبار .

وكل الناس فى سائر البيئات والعصور يعرفون تلك الحقائق ، وعندما يصاحب هذه المعرفة ايمان قوى بالبعث والآخرة ويقين بالحساب والجزاء يندفع الانسان للعمل الصالح طلبا لثواب الله وجناته ، ويصبح الموت عاملا من عوامل زيادة الخير فى الحياة .

والواقع أن الحياة الجاهلية كانت تفتقد الايمان القوى واليقين الثابت بالآخرة ، باستثناء ومضات خافتة كانت تضىء قلوب المتحنفين المستمسكين ببقايا دين ابراهيم - عليه السلام - ولم يكن عددهم كبيرا بين العرب ، ولا تقوم الاشارات التى وردت فى شعر أمية ابن أبى الصلت وغيره من الشعراء الى اليوم الآخر والحساب دليلا على نقض هذا القول ، لأن هذه الاشارات لا تدل على الايمان الراسخ واليقين الثابت ، فأمية بن أبى الصلت قال عنه الرسول ﷺ « آمن لسانه وكفر قلبه » وغيره كان وثنيا يعبد الأصنام ، وهم وان لم يفردوها بالعبادة ، قدسوها اعتقادا بأنها تقربهم الى الله زلفى ، وكل ذلك تخبط ، تنفى شواهده عن الجاهليين فى عمومهم أنهم كانوا يؤمنون يقينا بالبعث والجزاء .

ولهذا اندفع الفعل الجاهلى فى الاتجاه الآخر نتيجة لضعف الايمان بالله واليوم الآخر أو انعدامه ، مع التحقق من فناء الدنيا

---

(١٠) ديوانه ص ١٠١ .

وانقضاء الأعمار - أعنى تيار الفوز بالدنيا على أى وجه ومن أى طريق - وغالبا ما كان الشر هو الطريق الذى سلكه الجاهليون لادراك غايتهم من الدنيا .

ولقد اتخذوا من الموت ذريعة للافراط فى التمتع بما أتيح لهم من ملذات الحياة ، التى تمثلت فى استمتاعهم بالخمر وبالنساء ، واشباع جانب حب البطولة والفخر بها عن طريق الحروب .

واقترنت أفكارهم عن الموت ودلائل انكارهم للبعث بحديثهم عن هذه المتع التى أرادوا انتهابها قبل أن تفوتهم فرصة الحياة . ولعل أوضح مثال على ذلك ما جاء فى معلقة طرفة بن العبد اذ يقول :

الا أيهذا اللائمى أحضر الوغى
وأن اشهد اللذات هل انت مخلدى

فان كنت لا تستطيع دفع منيتى
فدعنى أبادرها بما ملكت يدى

فلولا ثلاث هن من لذة الفتى
وجدك لم أحفل متى قام عودى

فمنهن سبقى العاذلات بشربة
كميت متى ما تعل بالماء تزبد

وكرى اذا نادى المضاف مجنبا
كسيد الغضا نبهته المتورد

وتقصير يوم الدجن ، والدجن معجب
ببهكنة تحت الطراف المعمد

فذرني أروى هامتي فى حياتها
ستعلم ان متنا غدا اينا الصدي

كـريم يـروى نفســه فى حيــاته
مخــافة شــرب فى الممــات مصرد

لعمــرك ان المـوت مـا اخطــا الفتى
لكالطـول المـرخى وثنيـاه باليـد

متى مـا يشــأ يومــا يقـده لحتفــه
ومـن يك فى حبـل المنيـة ينقـد

ارى قبــر نحـــام بخيـــل بمـــاله
كقبــر غــوى فى البطـالة مفسـد

تــرى حثــوتين مـن تـراب عليهمـــا
صــفائح صـم من صـفيح منضـد

ارى المـوت يعتـام الكــرام ويصطفى
عقيـلة مـال الفـاحش المتشــدد

ارى المـوت اعــداد النفـوس ولا أرى
بعيدا غدا • ما اقرب اليوم من غد

ارى العـيش كنـزا ناقصــا كل ليــلة
ومــا تنقص الأيــام والدهــر ينفد(١١)

والشــاعر فى هذه الأبيــات يدفــع لوم لائميه الذين أخذوا عليـه افــراطه فى شهود اللذات وامتــاع نفســه على المذهب الذى يراه •

---

(١١) راجع شرح المعلقات السبع للزوزنى ص ٤٨ وما بعدها • والتبريزى ص ١٠٧ وشرح القصائد المشهورات لابن النحاس ص ٨٠ •

قوله : وجدك : قسم ، والجد : الحظ • عودى : جمع عائد وهو الزائر • النحام : الحريص البخيل • الحثوة : الكومة من التراب ؛ يعتام : يختار •

والسؤال المعجز الذى ألقاه الشاعر على هؤلاء اللوم : هل أنت مخلدى ؟ هل تضمن لى الخلود فى الدنيا حتى أقتصد فى امتاع نفسى واشباعها من اللذا تالتى تريدها ؟

ان كنت أيها اللائم لا تستطيع تخليدى فىالدنيا - ولا أحد بالطبع يستطيع ذلك للشاعر ولا لغيره - فدعنى أتحدى الموت والفناء بانتهاب اللذة المتاحة من الدنيا - هكذا يتصور الشاعر أنه بانتهاب اللذة والاستمتاع بالحياة قدر استطاعته يبادر الموت ويغالبه ٠

ويعلن الشاعر أن حرصه على الحياة وكراهيته للموت انما هما من أجل أمور ثلاثة يجد فيها سعادته ، وتلك الأمور هى : (شرب الخمر الجيدة المعتقة التى يعلوها الزبد عندما يضاف اليها الماء ، والكر للدفاع عن الجار على حصان قوى نشيط ، والاستمتاع بالمرأة الممتلئة الجميلة) ٠

وفى وصف طرفة لهذه اللذات حاول الشاعر أن يعرضها فى جوها الذى يروقه ويعجبه ، ويبلغ بها الدرجة العليا فى اشباع حاجته وارواء ظمئه لما توفر لها من أسباب الفتنة ودواعى الجذب للشاعر وأمثاله ٠

فليس المقصود هو ادراك اللذات الثلاث على أى وجه ، بل ادراكها على نحو مخصوص يجعلها فى النمط الممتاز الذى يعجب الشاعر ويمتعه ٠

وانظر الى صورة الشرب تجده شربا غير عادى ، بل هو شرب فيه سبق للعاذلات بما يوحى هذا السبق من تجاذب بينه وبينهن ، وانى لأتصور هؤلاء العاذلات ، يداعبن الشاعر بعذله على الشرب ، فليس العذل من باب الجد والنصيحة ، بل هو ضرب من اللهو والتظرف والدلال ٠ أما الخمر التي يشربها فهي كميت محمرة اللون لأصالتها

وقدمها ، يضيف اليهـا بعض المـاء فيعلوها الزبد • وكل هذه الأوصـاف التى عددها الشاعر تضفى على صـورة هذه اللذة مـزيدا من ايحـاءات جو المتعـة الذى أسر لب الشـاعر ، وجعله يحب الحياة ويكره الموت •

وانظـر الى صـورة كـره التى وصفها وفرسـه التى نعتها تجدها كذلك فى المعـرض الذى يجعلها فى النمط الراقى لتحقيق المتعـة ، فهو يخف للنداء ويلبى طلب المستغيث غير وان ولا كسـول ، على فـرس •

أما متعتـه الثالثة ، فقد استجمع لهـا الشـاعر أطـراف الوصف الموحى ببلوغها أرقى درجة من الامتـاع لتكون ملائمة لمزاجـه ، جديرة بأن يحب الحيـاة من أجلها ، فهو يلهو بالمـرأة الجميـلة الممتلئة تحت الخبـاء الممـدد ، يقصـر بهذا اللهو يوم الشـتاء الممطـر الذى يتعجب النـاس من شـدة مطـره وغـزارته ، ويحتمى من برده وغيمه ومطره بخلوته اليهـا تحت الخبـاء •

ولقد كانت الخمـر والمـرأة من أولى المتـع التى حـرص الجاهليون على انتهابها ، فقد روى الجاحظ :

أن امـرأ القيس سـئل : ما أطيب عيش الدنيـا ؟ فقال : بيضـاء وعبـوبة ، بالطيب مشبوبة ، باللحم مكـروبة •

وسـئل الأعشى عن ذلك فقال : صهباء صـافية ، تمزجها سـاقية من صـوب غـادية(١٢) :

وبعد ما وصف طـرفة لذاته التى لا يأبه بالحيـاة الا من أجلهـا طلب من لائمه أن يخلى بينـه وبين تلك اللذات ، ليروى نفسـه منهـا

---

(١٢) طرفة بن العبد ـ حياته وشعره : ص ٤٦ ـ د• محمد علي الهاشمي عالم الكتب ـ بيروت •

قبـل أن يموت فالذى ينعم بالدنيـا هو الكـريم الظـافر ، والذى يحرم نفسـه من متعها هو المحـروم الذى لن يزيل حـرمانه شىء لأنه لا متعـة بعـد المـوت .

هكذا ظن طـرفة . والموت الذى أراد الشـاعر التغلب عليـه بانتهاب الحيـاة ، وسبقه الى لذاتها ، رآه مثـل الحبـل ـ ممدودا على ابن آدم ـ يربطه كما تربط الدابة ، وترسـل فى مرعـاها ، وصـاحبها ممسك بحبلها يردها به عندما يشـاء ، فكذلك أمـر المنيـة والنـاس ، يقـاد المـرء لحتفه عندما يشـاء مقـدر المـوت ، ومن يك فى حبـل المنيـة لا يستطيع منـه فكاكا .

ثم استحضر الشـاعر صـورة القبر فـرآه حفـرة توارى الانسـان بعد موته ، لا فـرق بين غنى وفقـير ، أو مسرف وبخيـل ، فالقبر كل قبر ليس الا كـومة من تراب عليهـا بعض صفائح صم تضم جسم الانسان ولا يظهـر عليهـا اثر نعيم أو عذاب ، وكان الشـاعر بهذا الوصف يريد أن يدلل على صواب مذهبـه فى امتـاع نفسـه وارووائها من لذات الدنيا قبل أن تذهب الى هذا المصـير .

وهـل يحـرم نفسـه من ملذات الحيـاة وهو يرى المـوت يهلك النـاس الكريم منهم والبخيل على سـواء ؟!

ولقد أدرك الشـاعر يقينـا أن الموت أعداد النفوس فلا مهـرب منه ولا فـرار ، ومن لم يمت اليـوم يمت غـدا ، وما أقرب هذا الغد . كما أدرك أن كل ليـلة تفـوت تنقص من كنـز عيشـه ورصـيد عمـره حتى ينتهى ذلك الكنز ـ أفيضيعه فى الحـرمان من أجـل ارضـاء لائمـه الذى لا يملك دفـع الموت عنه ولا يستطيع تخليده ؟ .

هذه رؤية طـرفة التى قدمها في صـورة جدلية ، تكشف عن عقيدته في أمـر الموت والحيـاة ،

وتكــرار الفعــل (أرى) فى الأبيات الأخيرة :

أرى قبــر نحــام ••• ـ تــرى حثــوتين مــن تــراب ••• ـ

أرى الموت يعتــام الكــرام ••• ـ أرى العيــش كنـــــزا •••

يؤكد انشــغال الشــاعر بأمــر الموت ، وطول نظــره اليــه وتفكيره فيــه ، كما يدل تعبيــره بهــذا الفعــل (أرى) على أن عقيـــدته فى الموت وأفــكاره عنــه لم يأخذها عن دين ولم ينقلها عن أحد ، ولم يرثها عن نحــلة أو مذهب ، فهى مبنيــة على رؤيتــه وخبرته ، وتلك الرؤية لم تدرك من أمــر المــوت والقبــر الا ما يظهــر منهما للعين ، وان كانت العين صــالحة لمــد الشــاعر بهذه الصــورة الظــاهرية ، فانها غير صالحة لمعــرفة كنــه وحقيقــة ما يحدث بعد المــوت ، فذلك عــالم آخــر لا تدرك حقــائقه بالحــواس •

ولا أظن أن طــرفة بن العبد فى هــذه الرؤية كان شــاذا ، فلقــد كانت هذه عقيدة أكثر الجاهليين •

وبعد أن فــرغ طــرفة من بسط عقيدته فى أمــر الموت ، تحدث عن علاقته بابن عمــه مالك ، ثم فخــر بنفســه وعدد خصــاله ومآثره ، وفى نهــاية القصيدة طلب من ابنــة أخيه معبد أن تنعيــه عند موته بما هو أهله وأن تبكى عليــه وتشق الجيب من أجله •

فــان مــت فانعيــنى بمــا أنا أهـــــله

وشــقي علي الجيــب يا ابنــة معبــد

وفخـر الشـاعر بنفسـه هنـا وطلبـه من ابنـة أخيـه أن تبكيـه دليـل على تعلقـه بالحيـاة ، وحديثه عن الموت على النحـو الذى ذكر دليـل على حضـوره فى ذهنـه وادراكه أن الموت مصـير جميع البشر ، مع انكاره للحيـاة بعده أوشـكه فى ذلك ، ولقد كان مصـيبا فى ادراكه ، مـخطئـا فى شـكه وانكاره .

الباب الثالث

السمات الموضوعية والفنية لشعر الموت

الفصل الأول : السمات الموضوعية .

الفصل الثانى : السمات الفنية .

الفصل الأول

السمات الموضوعية

تشيع فى شعر الموت عدة ظواهر تتعلق بالفكرة أو الموضوع ، وهى تمثل سمات يتصف بها هذا الشعر ، وهذه السمات هى :

أولا : استعادة الماضى :

فى لحظات الضعف التى يواجه فيها الشاعر الموت أسيرا أو جريحا أو مريضا أو شيخا ، يتذكر الماضى وما حفل به من أوقات السعادة ومظاهر القوة .

وتطالعنا هذه السمة بوضوح فى شعر رثاء النفس ورثاء الآخرين وغالبا ما تكون فى اطار من الموازنة بين حالتى القوة والضعف ، والماضى والحاضر ، والحياة والموت ، فى تعجب وتحسر شديدين . وذلك كما فى قول امرىء القيس :

كأنى لم أركب جوادا للذة
ولم أتبطن كاعبا ذات خلخال
ولم أسبأ الزق الروى ولم أقل
لخيلى كرى كرة بعد اجفال

وقوله :

ألم أنض المطى بكل خرق
أمق الطول لماع السراب
واركب فى اللهام المجرحتى
أنال مآكل القحم الرغاب

وكما فى قول عبد يغوث :

وقد كنت نحار الجزور ومعمل المطى
وامضى حيث لا حى ماضيا

واعقر للشرب الكرام مطيتى   واصدع بين القينتين ردائيا
كانى لم اركب جوادا ولم اقل   لخيلى كرى نفسى عن رجاليا
ولم اسبأ الزق الروى ولم اقل   لأيسار صدق اعظموا ضوء ناريا

وكما فى قول عمرو بن قميئة :

واذا ما رآنى الناس قالوا : الم تكن
جليدا حديث السن غير كهام

ونجد مثل ذلك فى قول الأسود بن يعفر :

ولقد لهوت وللشباب لذاذة   بسلافة مزجت بماء غواد
ولقد غدوت لعازب متناذر   أحوى المذانب مؤنق الرواد

وفى قول عباد بن شداد :

فان تريني ضعيفا قاصرا عنقى
فقد اكعكع عنى عدوة العادى
وقد إفيئ باثواب الرئيس وقد
اغدو على سلهب للوحش صياد

وحديث الماضى وما كان يزخر به من قوة وفتوة فى معرض التعجب والتحسر دليل على تعلق النفس بالحياة ، وتعبير عن مكنون فطرتها فى حب العيش وكراهية فراق الدنيا ، وان كان هذا الأمر

واضحا فى رثاء النفس ، فان الشعراء يذكرون ماضى من يرثونهم ، فى اشارة الى تبدل الأحوال وانقضاء الآجال ، وفى تنبه الشاعر لذلك دليل على ادراكه للمصير الذى ينتظره ، وأنه لاحق بمن يرثيه لا محالة .

كما ورد ذكر الماضى والمقارنة بين الحياة والموت فى شعر الحكمة الذى اتخذ الموت موضوعا له ، على نحو ما نجد فى قول بشر بن أبى خازم :

وكل نفس امرىء وان سلمت

يوما ستحسو لميتة جرعا

فقد جمع بين السلامة والموت .

ويجتمع الأمران فى قول عنترة :

يخوض الشيخ فى بحر المنايا

ويرجع سالما والبحر طام

وياتى الموت طفلا فى مهود

ويلقى حتفه قبل الفطام

ففى البيت الأول صورة للحركة والسلامة والنجاة ، وفى البيت الثانى صورة للموت والهلاك .

ثانيا : ذكر الأهل والأصحاب والرفاق :

وكما استعاد الشعراء ماضيهم وهم يواجهون الموت ، ذكروا أوطانهم وأهليهم وأصحابهم ورفاقهم وندبوهم فى محاولة للتقوى بهم والائتناس، اذ يشعر الشاعر في لحظة سيطرة فكرة الموت عليه بكثير من الضعف والوحشة ، فيلتمس فى تذكره أهله وندائهم عونا له على ما يعانيه . هذا المرقش الأكبر يخاطب صاحبيه :

يا صاحبى تلوما لا تعجلا ان الرحيل رهين الا تعذلا

ويذكر أخويه أنسا وحرملا :

يا راكبا اما عرضت فبلغا أنس بن سعد ان لقيت وحرملا

ويخاطب أفنون التغلبى صاحبه فيقول :

فطنا معرضا ان الحتوف كثيرة
وانك لا تبقى بمالك باقيا

وخاطب عبد القيس بن خفاف ولده فقال :

اجبيل ان أباك كارب يومه
فاذا دعيت الى العظائم فافعل

وقال كعب الغنوى فى رثاء أخيه مخاطبا صاحبيه :

فخبرتمانى انما الموت بالقرى
فكيف وهذى روضة وكثيب

ووجه عبد يغوث الخطا بالى صاحبيه ونداماه فقال :

الا لا تلومانى كفى اللوم ما بيا
فما لكما فى اللوم خير ولا ليا
الم تعلما ان الملامة نفعها
قليل وما لومى أخى من شماليا
فيا راكبا اما عرضت فبلغن
نداماى من نجران الا تلاقيا

ثالثا : الحضور القوى للمرأة :

من الظواهر الواضحة فى شعر الموت الحضور القوى للمرأة فى

ذهن الشاعر وذكرها والحكاية عنها ، وقد ورد ذكر المرأة فى عدة نماذج هى :

(أ) نموذج المرأة الساخرة العاذلة المستهزئة ، كما فى قول امرىء القيس :

فبعد اللوم عاذلتى فانى

ستكفينى التجارب وانتسابى

وفى قول عبد يغوث :

وتضحك منى شيخة عبشمية

كان لم ترى قبلى اسيرا يمانيا

وفى قول عباد بن شداد :

وتهزأ العرس منى ان رات جسدى

احدب لم تبق منه غير اجلاد

(ب) نموذج الزوجة الوفية والمحبوبة الاثيرة :

وذلك كما فى قول عبد يغوث :

وقد علمت عرسى مليكة اننى

انا الليث معدوا على وعاديا

وفى قول عبد القيس بن خفاف :

افاطم انى هالك فتبينى

ولا تجزعى كل النساء يئيم

ولا انبان ان حر وجهك شانه

خموش وان كان الحميم حميم

وفى قـول عنتـرة :

يا عبـل أين من المنيـة مهربى

أن كان ربى فى السـماء قضـاها

(حـ) الابنـة الحبيبة التى ينتظـر الشـاعر منها بكاءه والحـزن من أجله ، كما فى قول بشـر بن أبى خـازم :

اسـائلة عمـيرة عـن أبيهـا

خـلال الجيـش تعتـرف الـركابا

الى أن يقـول :

فمن يك سـائلا عن بيت بشـر

فـان لـه بجنـب الـرد بـابا

رهـين بلى وكل فتى سـبيلى

فـأذرى الدمـع وانتحبى انتحـابا

وفى قـول طـرفة يخاطب ابنة أخيه :

فـان مت فانعينى بما أنا أهـله

وشـقى على الجيـب يا ابنـة معبد

وفى طلبهم من بناتهم البكاء عليهم التماس للتعـزى عن الموت فى حـزن ذويهم وذكـرهم اياهم .

(د) نموذج الأم الرءوم :

وقد ورد ذكـر هذا النموذج فى اطـار المقـارنة بين وفاء الأم وغدر الزوجة التى تتغير عواطفها نحو زوجها عندما تتغير أحواله ، ويفقد قـوته ومنزلته ، وذلك كمـا فى قـول صـخر بن عمـرو الشـريد :

أرى أم صخر لا تمل عيادتي
وملت سليمى مضجعي ومكاني
فأي امرىء ساوى بأم حليلة
فلا عاش الا في شقى وهوان

(هـ) نموذج المرأة المتعة :

وقد ذكرت في سياق المتع التي تغرى بالحياة وتحببها ، وترغب النفس في الدنيا ، وتنفرها من الموت ، وذلك في قول طرفة بن العبد مثلا :

وتقصير يوم الدجن والدجن معجب
ببهكنة تحت الطراف المعمد

وحضور المرأة في شعر الموت على هذا النحو لا تختلف علته – في رأيي – عن علة ذكر الماضي وذكر الأهل والرفاق ، فهو تعبير عن تعلق النفس بالحياة ورغبتها في استبقائها بتذكر عناصرها المهمة •

رابعا : الحديث عن القبر :

وقد ذكر الشعراء القبر ووصفوه بوصفه البيت الأخير الذي ينزله الانسان ، والمصير الذي ينتهي اليه ، وذلك كما في قول يزيد بن خذاق :

وارسلوا فتية من خيرهم حسبا
ليسندوا في ضريح الترب أطباقي

وكما في قول بشر بن أبي خازم :

فمن يك سائلا عن بيت بشر
فان له بجنب الردة بابا

ثوى فى ملحد لابد منه　　كفى بالموت نايا واغترابا

وكما فى قول عبد القيس بن خفاف :

ومشيد دارا لينزل داره　　نزل القبر وداره لم ينزل

وفى قول دويد بن زيد بن نهد :

اليوم يبنى لدويد بيته　　لو كان للدهر بلى ابليته

وفى قول المهلهل :

سالت الحى أين دفنتموه　　فقالوا لى بسفح الحى دار

فسرت اليه من بلدى حثيثا　　وطار النوم وامتنع القرار

وحادت ناقتى عن ظل قبر　　ثوى فيه المكارم والفخار

وفى قول ليلى بنت طريف :

بتل بناثا رسم قبر كانه　　على جبل فوق الجبال منيف

تضمن جودا حاتميا ونائلا　　وسورة مقدام وراى حصيف

الا قاتل الله الحشى كيف اضمرت

فتى كان للمعروف غير عيوف

فان لا تجبنى دمنة هى دونه

فقد طال تسليمى وطال وقوفى

وفى قول حاطب بن قيس :

سلام على القبر الذى ضم اعظما

تحوم المعالى حوله فتسلم

سلام عليه كلما ذر شارق

وما استقطع من دجى الليل مظلم

فيـا قبـر عمـرو جـاد أرضـا تعطفت
عليـك ملـث دائـم القطـر مـرزم
تضـمنت جسـما طاب حيـا وميتـا
فـانت بما ضـمنت فى الأرض معـلم
فـلو نطـقت ارض لقـال ترابهـا
الى قبـر عمـرو الأزد حـل التـكرم

وفى قـول طـرفة :

أرى قبـر نحـام بخيـل بمـاله
كقبـر غـوى فى البطـالة مفسـد
تـرى جثـوتين مـن تـراب عليهمـا
صـفائح صـم من صـفيح منضـد

وهم فى تعبيرهم عن هـذه الأفكار والمـامهم بتـلك المعـانى ، يصـدرون عن فطرتهم واحسـاسهم ، وعن خبرتهم المستمدة من واقـع بيئتهم ونظم عيشهم ، ولذا فقد اتسـم تناولهم للأفـكار بالقـرب والوضوح وعـدم التعقيد وقـلة التعمق ، فهم ليسوا أصحاب فلسفة ولا ورثة علوم ، ونظم عيشهم كانت بدائية بسـيطة ، وبيئتهم التى عاشوا فيهـا هى التى أمدتهم بمعارفهم ، وهى التى وجهت عواطفهم وكونت آراءهم فى الوجود والحيـاة والمصـير ٠

* * *

الفصل الثانى

السمات الفنيـــة

يتصف شـعر الموت بعـدة سمات تميزه من حيث المعالجة الفنيـــة عن غيره من الوان الشعر الجاهلى ، وهذه السمات هى :

أولا ـ الوحــدة الموضــوعية :

فى بحثنا عن الوحــدة فى شـعر الموت لا مندوحة لنا من اخراج شـعر الحكمة من هــذا الشعر فى ذلك المبحث ، لأن الحكمة التى تناولت الموت لم تنفرد بقصيدة أو مقطوعة ـ غالبا ـ وانما كانت أبياتا متفرقة فى ثنايا القصائد أو آخرها ٠

يبقى عندنا فى هــذا المبحث النمطان الآخران لشعر الموت ، وهما رثاء النفس ، ورثاء الآخرين ، وهــذان النمطان يندرجان تحت عنوان واحد فى أبواب الشعر العربى هو الرثاء ٠

وقــد تميزت أشعار الموت فى هــذين النمطين بوحــدة الموضــوع ووحــدة الجو النفسى ، وهى تختلف فى منهجها وبنائها عن المنهج العام للقصيدة الجاهلية ، هذا المنهج الذى كان يقضى بتعدد الأغراض والموضوعات فى القصيدة الواحــدة ، ويبدئها بمقدمة غزلية أو طللية ثم الانتقال الى الوصــف ، ثم المدح ـ أو الفخر ٠٠ أو غير ذلك من الأغراض ٠

وطبيعة الرثاء هى التى فرضت هــذا المنهج وتطلبت هــذا البنــاء « فجو الحزن ، وعظم المصيبة ، والشـعور بالفناء ، من أصعب الأجواء

التى تقيــد النفس البشرية بقيودها ، فلا تدعها تنطلق الى أجواء أخرى كالنسيب أو الغزل »(١) .

وقد أشــار الناقد الكبير ابن رشيق الى ذلك فى قوله :

« ليس من عــادة الشعراء أن يقدموا قبل الرثاء نسيبا كما يصنعون ذلك فى المديح والهجاء .. لأن الآخذ فى الرثاء يجب أن يكون مشغولا عن التشبيب بما هو فيــه من الحسرة والاهتمام بالمصيبة »(٢) .

وفى قول ابن رشيق بوجوب انشغال الشــاعر عنــد الحــديث عن الموت بالحسرة والاهتمام ما يدل على أن بدء المراثى بالغزل معيب ، وأن خلط الرثاء والحديث عن الموت بموضوعات أخــرى لا يليق ، ولا يقدح فى الوحــدة الموضوعية والنفسية التى نثبتها لشــعر الموت فى نمطيه (رثاء النفس ورثاء الآخرين) ما ألم به الشعراء من حــديث عن ماضيهم فيما يشبه الفخر ، أو ماضى من يرثونهم فيمــا يشــبه المــديح ، اذ أن هــذا الحــديث مرتبط أشــد ارتباط بمــا قصــد اليه الشــعراء من تعبير عن الحسرة والألم ، والتعجب من تبدل الأحوال وتغيرها .

وهو فى الوقت نفسه اعــلاء للذات وتثبيت للنفس وتعزية وتقوية واقناع ، حتى لا تتمزق وتنهار أمــام عاصــفة الموت . والأمر كذلك فى حديثهم عن الســنة الدائمــة فى مــوت الناس جميعا ، وتمثلهم بمــوت السابقين ، لا يعــد شىء من ذلك خروجا على وحــدة الموضــوع أو على وحــدة الجو النفسى .

وحسب هذا الشــعر أن يتمثل فيــه هذا القدر من الوحدة ، وأظــن

---

(١) رثــاء النفس بين عبد يغــوث ومالك بن الريب ص ٧٥ د. ابراهيم الحاوى .
(٢) السابق ص ٧٥

أنه من التعسف أن يبحث عن وحدة أعقد من ذلك هى ما يسمى فى النقد الحديث بالوحدة العضوية ، وهى تستدعى تماسكا بين الأفكار والأبيات وترتيبا منطقيا يجعل أبيات القصيدة متلاحمة حتى ليصعب تغيير مكان بيت أو حذفه أو تقديمه أو تأخيره • فالمشاعر التى تستبد بالشاعر ، ويعبر عنها لا تتيح له فرصة التدقيق والترتيب والتنظيم حتى تخرج قصيدته على النحو الذى يريده النقد الحديث الداعى الى الوحدة العضوية •

ثانيا ـ الصدق فى العاطفة :

لا شك فى أن الشاعر عندما يعبر عن موقفه فى مواجهة الموت راثيا نفسه أو راثيا غيره ، أو مصورا رأيه واعتقاده فى أبيات من الحكمة بشأن هذا القدر الجارى على الناس جميعا ، يعايش تجربته أصدق وأتم ما تكون المعايشة ، حتى تملك عليه تجربته فكره وحواسه ، لأن جو الحزن فى هذا الموقف يملأ على الشاعر وجدانه ويحيط به من كل جانب ، والتجربة هنا تجربة شخصية تنصهر داخل الشاعر ، ويخلص لها ، ومنبعها هو احساس الشاعر بالغربة والفناء فى مواجهة الموت •

واذا كانت العاطفة تحتمل الصدق والكذب فى أغراض القول المختلفة كالمديح والهجاء والغزل والفخر ، فانها هنا لا تحتمل غير الصدق ، اذ كيف يزور الانسان مشاعره أمام نفسه ، وهو يواجه الموت يصرعه ، أو يصرع أحد أقاربه الأدنين ـ الأخ أو الابن أو الصديق ؟ !

ان شعر الموت يفيض بالصدق النفسى الذى يحسه المرء فى كل بيت وفى كل جملة ، فليس الموقف موقف ادعاء زائف ، وليس هنا عطاء يخطف بصر الشاعر ويخلب لبه ، فيغريه بالكذب ، وليس الدافع الى هذا الشعر رهبة من ملك أو أمير أو غيرهما تنجى منها

الممالأة والمجاملة ليتجنب الشاعر البطش ، ولو جانب الصدق فى مديحه وتملقـــــه .

وليس الدافع هنـا كذلك ارادة الانتصار للقبيلة والاعـلاء من ذكرها مما يدعو الى التزيد والادعـاء . كما يحـدث فى الفخر . وليس هنـا رغبة فى التشـفى بالحط من شأن الآخرين ورميهم بالمثالب ـ حقا أو باطلا ـ كما يحـدث فى الهجاء .

ان الشاعر فى تأمله لحقيقة الموت وتعبيره عن رأيه فيها ، واحساسه بهـا يواجـه قوة لا تنفع معها مراوغة ولا مناوأة ، ولا تشـــفع عنـدها مجاملة ولا تملق ، ولا يجـدى أمامها كذب أو ادعـاء .

انه فى هـذه الحالة لا يجـد أمامه غير التسـليم والخضـوع فى طواعية وصـدق ، ينبعثان من أعمـاق نفسه الكسيرة العاجزة أمـام هذا القـدر الجبـار .

وهل يخفى صدق العاطفة فى قول امرىء القيس :

الى عرق الثرى وشجت عـروقى   وهـذا المـوت يسـلبنى شـبابى
ونفسى سـوف يسـلبها وجـرمى   فيلحقنى وشــيكا بالتـــراب

أو فى قول بشر بن أبى خـازم :

فمـن يـك سـائلا عن بيت بشر   فان لـــه بجنـــب الـرده بـــابا
رهـــين بلى وكل فتى سـيبلى   فأذرى الدمـع وانتحبى انتحـابا
ثـوى فى ملحـــد لابـــد منــه   كـفى بالمـوت نأيـآ واغتـــرابا

أو فى قول عبـد يغـوث :

فيا راكبـا أمـا عرضـت فبلغـن   نداماى من نجران أن لا تلاقيـــا

ومثل ذلك كل ما قيل في رثاء النفس :

وهل يخفى الصدق فى قول كعب بن سعد الغنوى :

فخبرتمانى أنما الموت بالقرى فكيف وهذى روضة وكثيب

أو فى قول سعدى بنت الشمردل فى رثاء أخيها :

غادرته يوم الرصاف مجندلا خبر لعمرك يوم ذلك أشنع

أو فى قول ليلى بنت طريف :

فيا شجر الخابور مالك مورقاً كأنك لم تجزع على ابن طريف

ومثل ذلك كل ما أوردناه من رثاء الآخرين .

بل هل يخفى الصدق فى قول زهير :

ومن هاب أسباب المنايا ينلنه وان يرق أسباب السماء بسلم

أو فى قول طرفة :

لعمرك ان الموت ما أخطأ الفتى لكالطول المرخى وثنياه باليد

أو فى قول عنترة :

يا عبل أين من المنية مهربى ان كان ربى فى السماء قضاها

ومثل ذلك كل أبيات الحكمة التى نطقوا بها فى أمر الموت ، لأن النفس فى معالجة هذا الأمر لا تجد طريقا آخر غير الصدق البرىء من كل شائبة ، به تطرح النفس همها وتزيل كدرها ، فتظهر على حقيقتها دون خفاء ، ومن أجل هذا الصدق عد أسلافنا شعر الرثاء أجود الشعر ، فقد روى الجاحظ نقلا عن الباهلى أنه قيل لأعرابى : مابال المراثى أجود أشعاركم ؟ قال : لأنا نقول وأكبادنا تحترق(٣) .

---

(٣) انظر رثاء النفس بين عبد يغوث ومالك بن الريب ص ٢٢

وذكر البيهقى فى المحاسن والمساوىء أنه قيل لأبى عبيدة :

ما أجود الشعر عندكم ؟ فقال : النمط الأسود . يعنى المراثى(٤) .

ثالثـا ـ وضوح الألفـاظ وسهولة الأساليب :

أدوات الشاعر هى ألفاظ اللغـة وتراكيبها ، وطرائق التصـوير وأساليبه ، بها يعبر الشـاعر عن نفسـه ويعلن ما فى ضـميره ، وبهـا يصور دقائق فكره وخفايا مشاعره .

وبالنظر فى الألفاظ التى استخدمها الشـعراء ، والأسـاليب التى سلكوها للتعبير عن احساسهم بالموت ، نجـدها ألفاظا سهلة واضـحة، قلما تجنح الى اغراب أو غموض ، وأساليب مستوية صـافية لا التـواء فيها ولا تعقيـد .

ومرد ذلك الى أن الشـاعر فى حـديثه عن الموت يصـدر عن فطرته من غير تحسـين ولا تزيين ، والفكرة التى تشـغله لا تترك له مجـالا للتحكيك والاختيـار ، فيعبر عن نفسـه بأقرب الألفاظ وأسـهل التراكيب وقد أضفى هـذا الوضـوح على شـعرهم فى الموت مزيدا من الجمال .

« ان الشعر الذى يصدر عن لواعج النفس بكل ما فى هـذه النفس من بسـاطة الشـعور ورقة الحال لا يدهش أن تأتى ألفاظه سـهلة بسيطة موحيـة »(٥) .

رابعـا ـ غلبـة ضمير المتكلم :

يكثر استخدام ضـمير المتكلم فى شـعر المـوت ، ويتردد أكثر من غيره من الضمائر ، ويبـدو أن التجربة الذاتية فى هـذا الشعر هى التى

---

(٤) السـابق ص ٢٢
(٥) السـابق ص ٢٦

اقتضت ذلك ، فامرؤ القيس مثلا يستخدم ضمير المتكلم أكثر من عشرين مرة فى أبيـات لم تتجاوز الثلاثة عشر بيتا فى قصيدته التى يقول فيها :

أرانـا موضـعين لأمـر غـيب ونسـحر بالطعـام وبالشراب

وفى قصيدة عبـد يغوث لا يكاد بيت يخلو من ضـمير المتكلم ، واستخدم الأسـود بن يعفر ومخارق بن شـهاب وصـخر بن عمرو الشريد ويزيد بن خذاق ضمير المتكلم فى الشعر الذى رثوا به أنفسهم كثيرا .

وبعض الشعراء راوح بين استخدام ضمير المتكلم وضمير الغائب فى رثاء النفس ، لكن ضمير الغائب يدل على الشـاعر أيضـا على طريقـة التجريد ، فلا يخرج فى حقيقته عن حال التكلم ، وذلك فى مثل قول بشر بن أبى خازم :

فمن يـك سـائلا عـن بيت بشر فـان لـه بجنـب الـرده بـابا

وفى قول دويد بن زيد بن نهـد :

اليـوم يبـنى لـدويد بيتـه لو كان للدهـر بلى أبليتـه

وقول المرقش :

من مبلغ الأقـوام أن مرقشـا أمسى على الأصحاب عبئـا مثقـلا

وفى رثاء الآخرين استخدم ضمير المتكلم بكثافة كذلك ، فكعب بن سـعد الغنوى يعبر به سبع مرات فى ثمانيـة أبيات ، كما لا تخلو قصيدة المهلهل فى رثاء أخيـه من هذه الكثافة ، فهو مثلا يقول :

أهـاج قـذاة عينى الادكـار هـدوءا فالدمـوع لهـا انحـدار

وصـار الليـل مشـتملا علينـا كأن الليـل ليس لـه نهـار

وابـكى والنجـوم مطلعـات كأن لم يحـوها عـنى النجـار

وهكذا الى آخر الأبيات .

ويشيع ضمير المتكلم فى قصيدة سلمية بن يزيد التى رثا بها أخاه :

اقول لنفسى فى الخلاء الومها لك الويل ما هذا التجلد والصبر
الا تفهمين الخبر ان لست لاقيا أخى اذا ما اتى دون أكفانه القبر
وكنت اذا ياتى به بين ليلة يظل على الأحشاء من بينه الجمر

ولا يختلف شعر الحكمة فى هذه الظاهرة عن رثاء النفس ورثاء الآخرين فقد استخدم الشعراء ضمير المتكلم ، فى تعبيرهم عن رؤيتهم للموت واحساسهم به . فزهير بن أبى سلمى يقول :

رايت المنايا خبط عشوا من تصب تمته ومن تخطىء يعمر فيهرم

ويقول عنترة :

يا عبل اين من المنية مهربى ان كان ربى فى السماء قضاها

وقال قس بن ساعدة :

لما رايت مواردا للموت ليس لها مصادر
ورايت قومى نحوها يمضى الأصاغر والأكابر

الى آخر الأبيات :

وقال طرفة :

فذرنى أروى هامتى فى حياتها ستعلم ان متنا غدا اينا الصدى
أرى قبر نحام ... أرى الموت يعتام الكرام ...
أرى الموت أعداد النفوس ... أرى العيش كنزا ناقصا ...

الى آخر الأبيات .

خامسا ـ شيوع أسلوب الاستفهام :

من الظواهر الواضحة في شعر الموت شيوع أسلوب الاستفهام وهو استفهام مجازى يؤدى معانى التعجب والتحسر والنفى والانكار .

يبدأ يزيد بن خذاق أبياته فى رثاء نفسه باستفهام يريد به النفى حيث يقول :

هل للفتى من بنات الدهر من واق أم هل له من حمام الموت من راق

وادى الاستفهام معنى التعجب فى قول عمرو بن قميئة :

رمتنى بنات الدهر من حيث لا أرى
فكيف بمن يرمى وليس برام
واذا ما رآنى الناس قالوا الم تكن
جليدا حديث السن غير كهام

كما أدى معنى التمنى فى قول المرقش :

من مبلغ الأقوام أن مرقشا أمسى على الأصحاب عبئا مثقلا

وأريد به التعجب والانكار فى قول سعدى بنت الشمردل :

أمن الحوادث والمنون أروع وابيت ليلى كله لا اهجع
افليس فيمن مضى لى عبرة هلكوا وقد ايقنت ان لن يرجعوا

وفى قول سلمة بن يزيد :

اقول لنفسى فى الخلاء الومها لك الويل ما هذا التجلد والصبر
الا تفهمين الخبر أن لست لاقيا
أخى اذا ما اتى من دون اكفانه القبر

وفى قول ليلى بنت طريف :

الا قاتل الله الحشى كيف اضمرت فتى كان للمعروف غير عيوف

فيا شجر الخابور مالك مورقا كأنك لم تجزع على ابن طريف

وهكذا وظف الشعراء أسلوب الاستفهام فى أداء المعانى المناسبة للتجربة التى أرادوا التعبير عنها .

سادسا ـ واقعية الصورة :

اعتمد شعر الموت ـ غالبا ـ على التعبير المباشر ، وقلت فيه الصور التخييلية كالتشبيه والاستعارة وغيرهما ، وكثرت فيه الصور الكلية النفسية التى ترمى الى بيان المشاعر على حقيقتها ، ووصف اثر الموت فى نفس الشاعر واحساسه به ..

ولأن حقيقة الموت تسمو فوق كل تصوير وتعجز أى خيال ، استخدم الشعراء الأساليب المباشرة ، ولم يلجأوا الى الصور الجزئية الخيالية الا فى اطار محدود ، كما فى قول امرىء القيس :

واعلم أننى عما قليل سأنشب فى شبا ظفر وناب

يقصد المنية التى صورها وحشا مفترسا ذا ظفر وناب .

وكما فى قول عبيد :

وللمرء أيام تعد وقد رعت حبال المنايا للفتى كل مرصد

وقول عنترة :

يخوض الشيخ فى بحر المنايا ويرجع سالما والبحر طام

وقول طرفة :

لعمرك ان الموت ما اخطأ الفتى لكالطول المرخى وثنياه باليد

وقول زهير :

رأيت المنايا خبط عشواء من تصب
تمته ومن تخطىء يعمر فيهرم

فهذه صور جزئية اعتمدت الخيال طريقا لها فيما تضمنته من تشبيه أو استعارة ، وفيما عدا ذلك عبر الشعراء عن رؤيتهم للموت واحساسهم به عن طريق الصور النفسية الكلية المباشرة ، التى لم تصطنع التخييل .

ولم تقلل هذه المباشرة من جمال هذا الشعر ، ولم تغض قلة الخيال فيه من قدره ، فصدق العاطفة ودقة الوصف وايحاءات الألفاظ وعفوية التعبير ، كفلت لهذا الشعر أسباب جماله وجودته وخلوده .

ولا أدل على ذلك من استحسان نقادنا القدامى المشهود لهم بالذوق السليم والرأى السديد لكثير من نماذج هذا الشعر ، فقد استحسن الأصمعى وابن قتيبة والقرشى والقالى قصيدة كعب بن سعد الغنوى ، ورووها . واستحسن المفضل وابن عبد ربه وغيرهما قصيدة عبد يغوث ورووها .

كما استحسنوا أشعار امرىء القيس وطرفة وعبيد وبشر بن أبى خازم ويزيد بن خذاق وغيرهم ممن تقدم الكلام عنهم .

ومضى على هذا الاستحسان أجيال متتابعة يتمثلون بهذا الشعر ويروونه ، ويجدون فيه أصدق تعبير عن العاطفة الانسانية عندما تهتز للموت واقعا أو فكرة .

وحسب هذا الشعر ذلك وأقل منه .

* * *

الخــــاتمة

كانت هــذه رحــلة ، حاولت خلالها استكناه ضـمائر الشعراء في العصر الجــاهلي ، وتحسس مشـــاعرهم ، والتجسس على سرائرهم والتعرف على أفكارهم وخواطرهم ، وهم يواجهون المــوت عنــدما كان يحضر أحــدهم جريحا أو أســيرا أو مريضــا ، أو يستحضره أحـــدهم أوقات التفكر والتأمل والاعتبــار ٠

ولم تكن الرحـلة ســهلة ميسرة ، ولكنها مع ذلك كانت مفيــدة وممتعــة ، إذ صدقت ما كنت اعتقده من حتمية انشغال الشاعر الجاهلي بأمر الموت ، واحساسه به ـ على الرغم مما قالوه في الشجاعة والاقدام وعــدم المبالاة بالموت ـ مما يظن معه أن احساسهم به كان ضعيفا وأن انشغالهم بأمره كان قليلا ٠

ولقد حققت هذه الدراســة ـ بحمد الله ـ نتــائج تهون من أجلهــا المشقات ، وهذه النتائج هى :

أولا : الاهتــداء الى الدوافع التى ضاعفت من قلق الشاعر الجاهلى من الموت وزادت احساسه به ، والتى تمثلت فى قسوة البيئة ونظم العيش وظروف الحيــــاة ٠

ثانيــا : ادراك اثر الدين الصحيح والعقيدة السليمة فى ارضـــاء النفس ، وتقرير أن الجاهليين افتقــدوا الرضا والطمأنينة بسبب افتقادهم الديــن الصــحيح ٠

ثالثــا : احصــاء الشعراء الذين رثوا أنفسهم ، والترجمة لهم وقــد بلغوا أربعــة عشر شــاعرا ، أكثرهم من المغمورين ٠

رابعـا : لمسـت الدراسـة مواطن الاحساس بالموت عند الشـعراء الجاهلين فى غرضى الرثاء والحكمة ، واوردت النصوص الناطقة بهـذا الاحسـاس .

خامسـا : كشفت الدراسـة عن مجموعة من الخصائص الموضوعيـة والفنيـة التى اتسم بها شـعر الجاهليين فى موضوع الموت .

هـذه هى أهم النتائج التى حققتها هـذه الدراسـة ، فان كانت جديرة بأن تشفع لها بالقبول ، فالحمـد لله الذى بنعمتـه تتم الصالحات وان كانت غير كذلك ، فلا حول ولا قوة الا بالله ، وصلى الله على سيدنا محمـد وعلى آله وصحبه وسلم .

المـؤلف

المصـادر والمـراجع

١ ـ **القـرآن الكريم**

٢ ـ **الأصـمعيات** ـ للأصمعى ـ بيروت ـ الطبعة الخامسة

٣ ـ **الأغـانى** ـ لأبى الفرج الإصفهانى ـ دار عز الدين للنشر ـ بيروت

٤ ـ **بشر بن أبى خـازم ـ حياته وشعره**

رسالة ماجستير بمكتبة كلية اللغة العربية بالقاهرة ـ اعـداد حسن أحمـد عبد السـلام

٥ ـ **تاريخ الأدب العربى** ـ أحمد حسن الزيات ـ وزارة المعارف المصرية الطبعـة ٢٥

٦ ـ **تاريخ الأدب العربى ـ العصر الجاهلى**

د٠ شوقى ضيف ـ دار المعارف ـ الطبعة الثامنة

٧ ـ **تاريخ الأدب العـربى** ـ عمر فروخ ـ دار العلم للملايين ـ بيروت

٨ ـ **تاريخ النقـد الأدبى عنـد العـرب** ـ د٠ احسان عباس ـ

دار الثقافة ـ بيروت ـ ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦ م

٩ ـ **جغرافية شـبه الجزيرة العربيـة** ـ د٠ محمود طه ابو العلا

الأنجلو المصرية ـ١٩٧٧

١٠ ـ **جواهر الأدب فى أدبيات وانشاء لغة العـرب**

السيد أحمد الهاشمى ـ المكتبة التجارية ـ ١٣٨٥ هـ ـ ١٩٦٥ م ٠

١١ ـ **خزانة الأدب** ـ للبغدادى ـ تحقيق عبد السلام هارون ـ

الخانجى بالقـاهرة

١٢ ـ **ديوان أميـة بن أبى الصلت** ـ المكتبة الأهلية ـ بيروت

١٣ ـ **ديوان بشر بن أبى خازم** ـ تحقيق د٠ عزه حسن ـ دمشق ـ ١٩٦٠

١٤ ـ **ديوان زهير بن أبي سلمي** ـ دار صادر ـ بيروت

١٥ - ديوان عبيد بن الأبرص - تحقيق وشرح د. حسين نصار - الحلبى

١٦ - ديوان عنترة بن شداد

١٧ - ديوان طرفة بن العبد - تحقيق د. على الجندى
مكتبة الانجلو المصرية

١٨ - ديوان النابغة دار الكتب العلمية - بيروت

١٩ - رثاء النفس بين عبد يغوث الحارثى ومالك بن الريب
د. ابراهيم الحاوى - الرسالة - بيروت

٢٠ - الرثاء فى الشعر العربى - د. محمود حسن أبو ناجى
دار الحياة - بيروت - ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م

٢١ - شرح القصائد المشهورات - لابن النحاس
دار الكتب العلمية - بيروت

٢٢ - شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات
لأبى بكر بن محمد القاسم الأنبارى - تحقيق عبد السلام هارون
دار المعارف

٢٣ - شرح القصائد العشر للتبريزى
ضبطه وصححه عبد السلام الحوفى - دار الكتب العلمية ١٤٠٥ هـ

٢٤ - شرح المعلقات السبع للزوزنى - المكتبة التجارية بالقاهرة

٢٥ - شرح المفضليات للتبريزى - تحقيق على محمد البجاوى
مكتبة نهضة مصر بالقاهرة

٢٦ - شعر بنى تميم فى العصر الجاهلى
جمع وتحقيق د. عبد الحميد محمود المعينى - منشورات نادى القصيم الأدبى ١٤٠٢ هـ

٢٧ - شعراء بنى قشير فى الجاهلية والاسلام
د. عبد العزيز محمد الفيصل - الحلبي ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م

٢٨ - الشعر والشعراء لابن قتيبة - تحقيق د ٠ مفيد قميحة وزرزور - دار الكتب العلمية - بيروت ٠

٢٩ - الصورة الفنية في الشعر الجاهلي في ضوء النقد الحديث د ٠ نصرت عبد الرحمن - بغداد

٣٠ - العقد الفريد لابن عبد ربه - دار الكتاب العربي - بيروت

٣١ - طبقات فحول الشعراء لابن سلام : تحقيق محمود شاكر ٠

٣٢ - طرفة بن العبد - حياته وشعره - د ٠ محمد علي الهاشمي عالم الكتب - بيروت ٠

٣٣ - قلق الموت - د ٠ أحمد محمد عبد الخالق - عالم المعرفة - الكويت ١٩٧٨ م

٣٤ - معجم البلدان - ياقوت الحموي - دار بيروت - ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م

٣٥ - الوصايا والحكم في الأدب الجاهلي
رسالة ماجستير بمكتبة كلية اللغة العربية بالقاهرة
اعداد محمد عبد الجواد فاضل

الفهـــرست

الخطأ والصواب

الؤسطر	الصفحة	الخطأ	الصواب
١٥	١٧	له	لم
٣	١٨	وإذ الآل	وإذا الآل
٤	٢٤	النضاره	النضار
٢١	٢٤	تمخع	تخمع
١١	٢٧	أو تحت	أوتحت
١٣	٢٧	آلت	آل
٢١	٢٧	آلت	آل
١٨	٢٨	بم	بن
١	٣٧	على وبتض	على كذا وتبض
١	٣٨	قشير أو	قشيرأو
١٣	٤	يعو	يدعو
٧	٧٠	ابنته	فتذكر ابنته
٨	٧٠	مكرر	
٣	٨٧	بسيل	يسيل
١٥	٩٠	المعجت	المعجب
١١	٩١	مهاجر	مهاجرة
٥	١٠١	وليهونوا	ليهونوا
١٦	١١٢	ويدركوه	ويدركاه
١٢	١١٦	مر ملينا	مرملينا
١٣	١١٧	بالقوى	بالقرى
١٤	١٢١	تلقاناه	تلقانا
٦	١٢٧	ويبدو	ويبده

السطر	الصفحة	الخطأ	الصواب
٦	١٣٦	فرس	فرس قوية
١٦	١٣٦	وعبوبة	رعبوبة
٥	١٤٧	فبعد	فبعض
٣	١٥٠	ليترك	لينزل

أ علاء الدين شوقي
www.lisanarb.com

توزيع دار اللـواء
تليفون ٦٤١٨٠٧

رقم الايداع بدار الكتب والوثائق القومية
٣٢٤٩ / ١٩٩١

مطبعة الحسين الإسلامية
٢٥ حارة المدرسة خلف الجامع الأزهر